

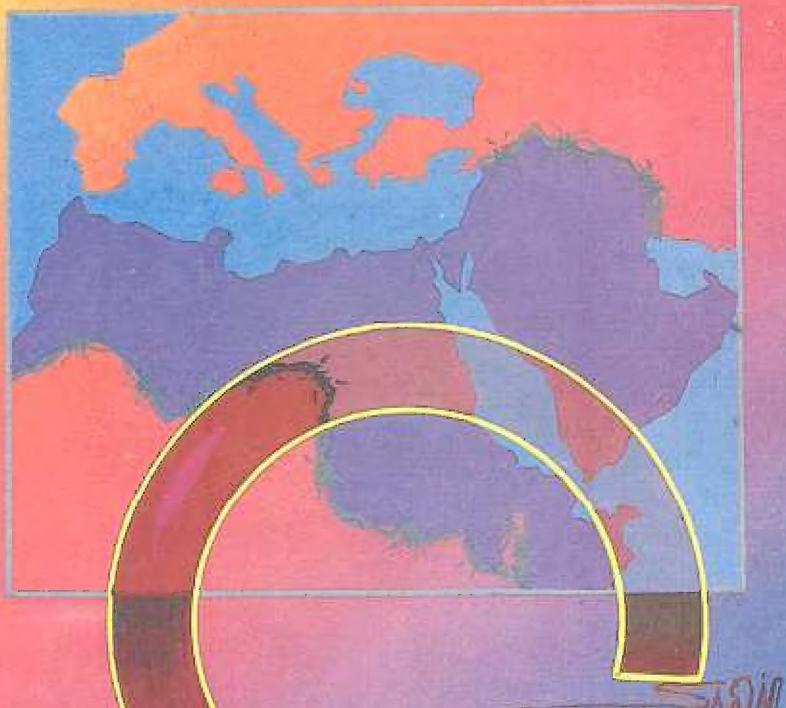
# لِزْرَدَةُ الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ

مناظرة بين كل من

الأستاذ الدكتور / محمد حمارة  
والأستاذ الدكتور / فؤاد لزريا

إدارة الأستاذ / سعد الربيعي

مدير التليفزيون القطري



# أزمة العقل العربي

مناظرة بين كل من

الأستاذ الدكتور / فؤاد زكريا والأستاذ الدكتور / محمد عمارة

إدارة / الأستاذ سعد الرميحي

مدير التليفزيون القطري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تقديم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرْرِ أَنفُسِنَا  
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَهُوَ الْمُهَدِّدُ وَمَنْ يَضْلِلُ فَلَنْ يَجِدْ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا أَشْهَدُ  
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

اللَّهُمَّ رَبَّ جَنَائِيلٍ وَمِكَائِيلٍ وَإِسْرَافِيلٍ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالَمُ الْغَيْبِ  
وَالشَّهَادَةُ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، اهْدِنَا لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ  
بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مِنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ . أَمَا بَعْدَ ...

فَلَقِدْ سَبَقَتْ هَذِهِ الْمَنَاظِرَةُ ثَلَاثَ مَنَاظِرَاتٍ فِي مَصْرَ : اثْنَانِ مِنْهُمَا فِي مَدِينَةِ  
الْقَاهِرَةِ وَالثَّالِثَةُ فِي مَدِينَةِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ .

\* أَمَا الْأُولَى فَقَدْ جَرَتْ وَقَاعِدُهَا بِمَقْرَبِ نِقَابَةِ الْأَطْبَاءِ فِي الْقَاهِرَةِ فِي صِيفِ عَامِ  
١٩٨٦ بَيْنَ كُلِّ مِنْ فَضْيَلَةِ الدَّكْتُورِ يُوسُفِ الْقَرْضَاوِيِّ وَالدَّكْتُورِ فَؤَادِ زَكْرِيَا حَوْلِ  
الْإِسْلَامِ وَالْعِلْمَانِيَّةِ .

\* وَأَمَا الثَّانِيَةُ فَهِيَ مَنَاظِرَةُ مَعْرِضِ الْكِتَابِ الشَّهِيرَةِ : « مَصْرُ بَيْنَ الدُّولَةِ الْدِينِيَّةِ  
وَالْدُّولَةِ الْمُدْنِيَّةِ » وَالَّتِي جَرَتْ بَيْنَ كُلِّ مِنْ : فَضْيَلَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ الْغَزَالِيِّ وَالدَّكْتُورِ  
مُحَمَّدِ عَمَارِهِ وَالْمُسْتَشَارِ مَأْمُونِ الْهَضِيْبيِّ كَطْرُفِ إِسْلَامِيِّ ، وَالدَّكْتُورِ مُحَمَّدِ خَلْفِ اللَّهِ  
وَالدَّكْتُورِ فَرجِ فُودَهِ كَطْرُفِ عِلْمَانِيِّ فِي يَانِيرِ سَنَةِ ١٩٩١ ، وَقَدْ يَسَرَ اللَّهُ لِنَا الْقِيَامُ  
بِدِرَاسَةِ هَذِهِ الْمَنَاظِرَةِ وَإِخْرَاجِهَا تَحْتَ عَنْوَانِ : الْمَوَاجِهَةُ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْعِلْمَانِيَّةِ

\* وأما الثالثة فهي التي جرت في نقابة المهندسين بالاسكندرية في نفس الشهر وتحت نفس العنوان ، واشترك فيها كل من : الدكتور محمد عماره والدكتور محمد سليم العوا كممثلين عن الجانب الإسلامي ، والدكتور فؤاد زكريا والدكتور فرج فوده كممثلين عن الجانب العالميي ، وقد يسر الله لنا عمل دراسة حول هذه المناقضة كذلك وإخراجها تحت عنوان : تهافت العالمية في مناظرة نقابة المهندسين بالاسكندرية .

والمتأمل في هذه المناظرات على تعدد مواقعها واختلاف أقطابها يدرك أنها تمحور حول قضية واحدة كثیر حولها الجدل وتفجر حولها الصراع في الآونة الأخيرة ألا وهي مرجعية الشريعة وعلاقة الدين بالدولة ، فلا تکاد تجد في هذه المناظرات الا انتصارا للإسلام ودعوة إلى تحكيم الشريعة من طرف ، واحتزلا للإسلام في جانب العبادات ودعوة سافرة إلى الفصل بين الدين والدولة من الطرف المقابل ! وقد أوشك هذا الصراع أن يسفر عن خندقين كبيرين يقف في أحدهما دعاة الإسلام وفي الآخر دعاة العلمانية !

ولم يكن تبلور المواقف في الساحة العربية الإسلامية على هذا النحو بمعزل عما يجري على الساحة العالمية من مستجدات ومتغيرات بل كان انعكاسا له وتجسيدا مباشرا لأصدائه ؛ فإن سقوط المعسكر الشيوعي وتراجع دوره على الرقعة العالمية قد استفرج المجتمعات الغربية للبحث عن بدائل تختend حول عداوته شعوبها وأولياءها فوجدت فيما سموه الأصولية الإسلامية ذلك البديل المنشود فانطلقت مراكز بحوثهم ومؤتمراتهم ووسائل أعلامهم تدق طبول الحرب و تستنفر العالم كله على ذلك المارد الذي يوشك أن يخرج من القمقم ليطوي الأرض كلها تحت لوائه كما طواها أول مرة في فجر البعثة الحمدية ومثل العالم الأول على مسرح الكون لأكثر من عشرة قرون !!

\* وفي هذا الإطار كان كتاب «انتهزوا الفرصة » الذي كتبه الرئيس الأمريكي

الأسبق نيكسون يستقر في العالم المسيحي لمحاجمة الإسلام والمسلمين ، ويقرر فيه أن المواجهة القادمة بعد انتهاء الشيوعية ستكون مواجهة بين المسيحية والإسلام !!

• وفي هذه الإطار كذلك كانت مقوله جيفاني دي بكليس وزير خارجية إيطاليا وسكرتير عام الجمع الأوروبي في النیوزیلند بتاريخ ٢ / ٧ / ١٩٩٠ التي يدعو فيها إلى ضرورة تقوية حلف الناتو حتى بعد هزيمة دول حلف وارسو وإلغاء الحلف نفسه مواجهة الخطر المستقبلي وهو الإسلام !!

• وكانت مقوله الواشطن بوست الأمريكية في ١٦ / ٢ / ١٩٦٠ ، أن الصحوة الإسلامية العالمية هي قوس الأزمات الجديدة !

• وعلى مستوى القيادة وصناع القرار رأينا تهديد الرئيس الفرنسي ميتان بعودة فرنسا إلىاحتلال الجزائر إذا حكمتها الأصولية !

• ورأينا السفيرة الأمريكية بالجزائر والمسئولة سابقا في إدارة الاستخبارات بالخارجية الأمريكية تنقل إلى الرئيس الجزائري الأسبق الشاذلي بن جديـد قبل ٢٤ ساعة من استقالته أن اجراءات تنوـى بلادها اتخاذها ضد الجزائـر بالتعاون مع أوروبا بسبب سماحة بقـيام دولة إسلامية ورفضـه لاقتراحـات الجيش بالتدخل ، بل بلغ الأمر بشـامـير أن يطالب قـادة الدول العربية بمحاربة حـمـاس لأن أصـولـيـتهم تهدـدـ الجـمـيع !!

وسرعـانـ ما تجاوـبـتـ معـ هـذـهـ التـفـمـةـ الـراـفـدـةـ جـمـيعـ مؤـسـسـاتـ الـحـكـمـ وأـجـهـزةـ الـاعـلامـ فيـ عـالـمـاـ العـرـبـيـ وـالـاسـلـامـيـ ،ـ وـتوـحدـتـ مـصالـحـ هـذـهـ الأـجـهـزةـ فيـ هـذـهـ المـواجهـةـ حتـىـ بلـغـ الـأـمـرـ بالـحـسـنـ بنـ طـلـالـ ولـيـ عـهـدـ الـأـرـدـنـ أـنـ يـصـرـحـ لـلنـيـوـيـرـكـ تـاـيمـزـ فيـ ٢٩ـ /ـ ٥ـ ١٩٩٠ـ بـأنـ إـسـرـائـيلـ لـيـسـ هـيـ الـعـدـوـ الـحـقـيقـيـ لـلـدـوـلـ الـعـرـبـيـةـ !ـ وـإـنـماـ الـعـدـوـ لـلـحـكـومـاتـ الـعـرـبـيـةـ وـإـسـرـائـيلـ إـنـماـ هـوـ مـوجـةـ التـعـصـبـ الـدـينـيـ !!ـ وـيـنـبـغـيـ قـيـامـ تـعاـونـ مشـترـكـ

بين الحكومات العربية وإسرائيل لمواجهة هذه الموجة حتى لا تشهد المنطقة حرباً من باكستان إلى المغرب العربي !! وهكذا أصبح التهبيج على دعوة الإسلام وحملة الشريعة هو القاسم المشترك الذي يجمع بين هؤلاء في ظاهر وظاهر لا تخطئ العين .

إذن فهو انحياز الكفر كله داخلياً وخارجياً إلى معسكر واحد وقد اتخذ من العلمانية ومن مواجهة خطر الأصولية رأيَ تجمع بين وحداته المتنافرة وهدفاً جامعاً تلتقي عليه شيعة المتنازعة والتي يبلغ مأينها من التناقر والتنازع في أغلب الأحيان مبلغ التقىض من التقىض .

وفي هذه المناظرة يسطع نجم الدكتور عمارة - كعادته دائمًا في كل مناظراته - وهو يحيط الثمام عن مغالطات العلمانيين ، ويفضح مزاعمهم حول الحرية والديمقراطية والعقلانية والتنوير والمشروع الحضاري والمجتمع المدني وتحوه الأمر الذي حدا بالدكتور فؤاد زكريا أن يناور في مستهل تعليقه على كلمة الدكتور عمارة بإعلان براءته من هؤلاء العلمانيين الذين يتحدث عنهم الدكتور عمارة ووقفه معه في التصدي لهم !!

ولا نريد أن نطيل على القارئ في هذا التقديم وإنما نتركه مع هذه المناظرة التي ثبتها بنصها والتي لم يزد عملنا فيه على إضافة عناوين تبرز الأفكار الرئيسية في كلمات المتناظرين بالإضافة إلى بعض التعليقات البسيطة في الموضع التي تمس الحاجة فيها إلى مثل هذه التعليقات !

والله من وراء القصد وهو الهدى إلى سواء السبيل

## المناظرة والمناظرون في سطور

\* جرت وقائع هذه المناظرة - بدعوة من «نادي الجسرة» - «في الدوحة» - بدولة قطر ، في يوم الإثنين - ٢٢ من ربيع الثاني سنة ١٤١٣ هـ - ١٩ من أكتوبر سنة ١٩٩٢ م - وذلك في أكبر قاعة بدولة قطر - قاعة فندق شيراتون - وحضور جمهور لم يسبق له نظير في تاريخ النشاط الثقافي بقطر .. ضم كوكبة من العلماء والوزراء والسفراء .

\* ولقد بدأت وقائعها بتقديم من الأستاذ «يوسف درويش» - رئيس النادي - حول أهمية الموضوع «أزمة العقل العربي» ، وتقديره للمكانة الفكرية للممناظرين - الأستاذ الدكتور : فؤاد زكريا .. والأستاذ الدكتور : محمد عماره .. ثم قدم تعريفاً بهما موجزاً في نقاط :

### الدكتور / فؤاد زكريا :

- ولد في الأول من ديسمبر سنة ١٩٢٧ م ببور سعيد .  
- حصل على ليسانس الآداب سنة ١٩٤٩ م ، والماجستير سنة ١٩٥٢ م ، والدكتوراه سنة ١٩٥٦ م .  
- شغل وظيفة مدرس مساعد بآداب عين شمس ، وأستاذاً ورئيس قسم بجامعة الكويت سنة ١٩٧٨ م .

- عضو اللجنة المصرية الوطنية لليونسكو ، وأمين مجلس العلوم الاجتماعية في أكاديمية البحث العلمي ، ورأس تحرير مجلتي «الفكر المعاصر» و «تراث الإنسانية» ، ومستشار السلسلة «عالم المعرفة» بالكويت .

- شارك في العديد من المؤتمرات داخل وخارج العالم العربي .
- من مؤلفاته : (كم عمر الغضب) و (الحقيقة والوهم في الحركة الاسلامية المعاصرة) و (الصحوة الاسلامية في ميزان العقل) و (جمورية أفلاطون ) ترجمة .
- حصل على جوائز جامعية : جائزة الاعلام سنة ١٩٤٩ ، وجائزة واصف غالى سنة ١٩٥٢ م . وجائزة الدولة التشجيعية - في الفلسفة - سنة ١٩٧٤ م ، وجائزة الكويت للتقدم العلمي - عن أحسن كتاب مترجم - سنة ١٩٨٣ م ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى .

**الدكتور / محمد عمارة :**

- مفكر إسلامي .
- ولد بمصر - في سروة مركز قلين محافظة كفر الشيخ - في ١١٢١/٨/١٩٣١ م .
- درس بالأزهر - بعد أن حفظ القرآن بكتاب القرية - تسع سنوات - حتى حصل على الثانوية الأزهرية . ثم التحق بدار العلوم - جامعة القاهرة - ونال منها درجة الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية .
- ومن دار العلوم حصل على الماجستير والدكتوراه - في الفلسفة الإسلامية - وكانت أطروحته للماجستير (عن المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية) ، والدكتوراه عن (الاسلام وفلسفة الحكم) .
- بدأت اهتماماته بالفلك والكتابة مبكرا .. فنشر - وهو طالب - في الصحف والمجلات المصرية والعربية - شعرا ونثرا .. ونشر أول كتابه - وهو طالب بدار

العلوم - عن ( القومية العربية ومؤامرات أمريكا ضد وحدة العرب ) سنة ١٩٥٨ م .

- متفرغ - تقريرا - للعمل العلمي .. ولقد قدم للمكتبة العربية والإسلامية أكثر من ثمانين كتابا - ما بين تأليف وتحقيق لتراثنا - القديم منه والحديث - .. من بينها : (معالم المنهج الإسلامي) و (الإسلام والفنون الجميلة) و (الرد على شبهات العلمانيين) و (الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري) و (أزمة الفكر الإسلامي المعاصر) و (الإسلام وحقوق الإنسان) و (الغزو الفكري وهم أم حقيقة؟) و (تيارات الفكر الإسلامي) و (العرب والتحدي) و (إسلامية المعرفة) و (معركة الإسلام وأصول الحكم) و (الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية) و (مسلمون ثوار) .. إلخ .. إلخ .. وتحقيق ودراسة الأعمال الكاملة للطهطاوى ، والأفغاني ، ومحمد عبده ، والكواكبي ، وعلي مبارك ، وقاسم أمين .. و (فصل المقال) - لابن رشد - و (الأموال) - لأبي عبد القاسم بن سلام - و (رسائل العدل والتوجيد) .. إلخ ..

- يبرز في مشروعه الفكري : الاهتمام بقضايا الفكر الإسلامي .. وتراث الاستئناس والعقلانية الإسلامية المتميزة .. وقضايا التمايز والتفاعل الحضاري .. والاجتهداد في صياغة معالم المشروع الحضاري للنهضة الإسلامية المنشودة .. والنظرة النقدية للتغيير .. وللجمود والتقليل .. والقراءة للتراث في ضوء الرؤية المعاصرة ..

- ترجمت بعض كتبه إلى اللغات الإنجليزية ، والألمانية ، والروسية ، والتركية ، والأوردية ..

- شارك في العديد من المؤتمرات العلمية - داخل العالم العربي وخارجه - وأسهم ويسهم في العديد من المجالات الفكرية المتخصصة ..
- حصل على عدة جوائز منها : جائزة أصدقاء الكتاب سنة ١٩٧٤ - عن تحقيقه الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده .. وجائزة الدولة التشجيعية - بمصر سنة ١٩٧٧ م - في الآداب - عن تحقيقه الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي .. وعلى وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى .
- عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .. ومستشار أكاديمي للمعهد العالمي للتفكير الإسلامي .

\* ولقد تولى إدارة حوار المنازرة الأستاذ سعد الرميحي . . مدير التليفزيون القطرى .

## وقائع الماناظرة

حقيقة أنا متحير فيمن يبدأ ليتحدث هذه الليلة .. ولكن في لقائي بالأمس ، مع الأستاذين المحاضرين وصلنا إلى أن أكبرهما سنا يبدأ الحديث ، نبدأ بالأستاذ الدكتور : فؤاد زكريا

### كلمة الدكتور / فؤاد زكريا

الأخ سعد والسادة الأجلاء<sup>(١)</sup> ....

موضوعنا اليوم ، كما تعلمون حضراتكم ، هو : أزمة العقل العربي . موضوع يدو من عنوانه أنه بسيط ، الكلمات المستخدمة فيه شائعة ومتدولة ، وبالرغم من ذلك فإن هذه الكلمات تحمل في طياتها قدرًا لا يستهان به من الغموض ومن الالتباس ومن احتمال تداخل المعاني وتعددها .

ولذلك ، فقد حرصت في مستهل حديثي على أن أقدم لحة بسيطة عن طبيعة المفاهيم الثلاثة المستخدمة في هذا العنوان : «أزمة العقل العربي» . وليس هذه مجرد مقدمة ولا مجرد تمهيد ، بل إنني أعتقد أن ما يقال في هذا الإطار يدخل بنا في صعيم الموضوع الذي نأمل اليوم أن نعالج .

(١) يلاحظ القارئ عدم استهلال الكلمة باسم الله أو بأى لغة إيسانية ! وهذا لا يمثل ذهولا عارضا في هذه الماناظرة بل هو منهج مضطرب في سائر كتابات ومحاضرات الدكتور فؤاد زكريا فلا نعرف له كتابا ولا مقالا ولا لقاء بدأه باسم الله !

## المفهوم الأول : هو كملة « أزمة »

### الشعور بالأزمة لا ينفك عنه مجتمع

أول كلمة هي كلمة « أزمة » : نحن دائمًا نقول : أزمة كذا وكذا ، ونحن نعاني من أزمة كذا وكذا . يخيل إلينا في بعض الأحيان أن عصراً وحده أو أن مجتمعاً وحده هو الذي يعاني من أزمة ، وأن الآخرين مرتاحون لا تناهيم أزمات ، ولكن في الواقع الأمر لو استعرضنا المجتمعات الأخرى المحيطة بنا ، أو المجتمعات التي تعاقبت على مدى التاريخ ، فسوف نجد أنه لا يكاد يكون هناك مجتمع إلا ويشعر هذا الشعور نفسه . اقرؤوا التاريخ ، اقرؤوا القدماء ، اقرؤوا الحدثين ، واقرؤوا من يعيشون في أبعد المجتمعات عننا ، مستجدون في معظم الأحيان نفس الإحساس .

### كلمة أزمة ليست سلبية دائمًا !!

إن الإنسان أو المفكر يعاني في هذا المجتمع أزمة ، لماذا ؟ لأن التغيير من طبيعة البشر ولأن التغيير يصاحبه دائمًا إحساس بالأزمة . ومن المهم أن ندرك منذ البداية أن الأزمة ليست دائمًا شيئاً ينفي مجتبه أو يتبعي التخلص منه أو يتجاوزه في كثير من الأحيان تكون الأزمة شيئاً إيجابياً ، تكون مقدمة أو تحميداً أو مدخلاً للتغيير هام . أو على الأقل علامة على الوعي بضرورة التغيير ، ويدون وعي لا يكون هناك إحساس بالأزمة .

أردت أن أشرح هذه النقطة ، لأنه ربما اعتقد البعض أن كلمة الأزمة دائمًا سلبية المعنى ، وهذا ليس صحيحاً .

## المفهوم الثاني هو كلمة «العقل»

ما المقصود بالعقل ؟ طريقة التفكير ؟ أم الأفكار ذاتها

هذه الكلمة شديدة التعقيد ، بالرغم أنها متداولة على المستنا جميعا . شديدة التعقيد بصرف النظر عن التعقيدات الكثيرة المصاحبة لهذه الكلمة ، فيكيفينا أن نسأل : ما الذي نقصده بالعقل ، في ندوة من هذا النوع ؟ عندما تتحدث عن أزمة العقل العربي ؟ هل نقصد بالعقل الطريقة التي يفكر بها إنسان العربي ؟ أم نقصد نوع الأفكار التي يحتشد بها أو يمتلك بها عقل إنسان العربي ؟ هذان شيئاً مختلفان . طريقة التفكير ، أو كما يُشيع تسميتها بمنهج التفكير شيء ، ومحنوي التفكير أو نوع الأفكار الموجودة بالعقل شيء آخر . فمن الممكن أن تتحدث عن أزمة في طريقة تفكيرنا ، ومن الممكن أن تتحدث عن أزمة في تلك الأفكار التي تملاً أذهاننا ، أو التي تشبع بیننا ، فهذا أيضاً محدود يتبعه القيام به .

هل العقل هو الذي يولد الأزمة أم أنه ضحية لها ؟

ثم نسأل أنفسنا : هل العقل هو الذي يولد الأزمة ؟ أم أن العقل ضحية لأزمة ثالثي من مصادر أخرى ؟ هل أزمة العقل سبب لم نتيجة ؟ لماذا ؟ من الشائع عند الكثير من المتفقين بأنه لا يوجد شيء اسمه عقل يفكر في فراغ . كل عقل مرتبط بمجتمع معين ، له ظروف معينة وأوضاع يتميز بها ، وهذه الأوضاع لا بد أن تعكس على عقل الإنسان وعلى تفكيره في هذا المجتمع ، هذا رأي شائع . فإذا صع هذا تكون أزمة العقل نتيجة لأزمات أخرى ، يمكن أن نقول إنها أزمات اجتماعية ، أخلاقية ، سياسية - دينية .. الخ .. ولكن من الممكن أن ننظر إلى هذه المسألة من زاوية أخرى . فتساءل : هل يكفي عقل الإنسان بأن يكون انعكاساً للظروف المحيطة به ، أو مجرد

تتغير عنها؟ هل هذه هي مهمة العقل البشري؟ أم أنه يتحكم في هذه الظروف ويغيرها؟

الإنسان كما قلت في البداية، كائن دائم التغيير، ينتقل دائماً من موقع إلى موقع على المستوى المعنوي أو على المستوى المادي هذا التغيير أثبت لنا التاريخ أنه يبدأ عادة في عقل الإنسان، ثم يترجم إلى واقع فيما بعد. الأفكار الكبيرة التي تحولت عن طريقها البشرية هي أفكار ظهرت في عقل إنسان ما، وبعد ذلك أمكن تحويل هذه الأفكار إلى واقع ملموس. إذا صع هذا تصبح المسألة عكس ما قلت منذ قليل. ففي هذه الحالة يمكن أن تكون هناك أزمات فعلية للعقل، أزمات من صنع العقل نفسه، وتنعكس من العقل على المجتمع. فإذا، هناك وجهان لهذه المسألة، ومن يقول إن العقل ما هو إلا حصيلة ظروف اجتماعية أو واقع اجتماعي معين، يقول قوله العقل صحيحاً، ولكنه غير كاف، لأنه يتجاهل الجانب الآخر للعقل، وهو قدرة العقل على بخاور هذا الواقع وعلى تغييره في ظروف معينة. هذا عن المفهوم الثاني.

### المفهوم الثالث وهو كلمة «العربي»

#### تعدد أنماط التفكير داخل الإطار العربي

نأتي إلى المفهوم الثالث وهو كلمة العربي هل نريد نحن أن نتحدث عن أزمة العقل العربي بمعنى أن العقل الموجود لدى هذه الفئة من البشر الذين يسمون بالعرب له سمات خاصة، له طابع خاص يستحق أن يطلق عليه اسم العقل العربي؟ هل للناس في هذه المنطقة الخاصة من العالم، والتي يطلق عليها اسم العالم العربي، خصائص معينة يجعلهم يفكرون بطريق معينة؟ طبعاً هذا تعميم شديد، وفي مثل هذا التعميم لا

يعلم المرأة حساباً للفوارق الكبيرة . فالعالم العربي يضم بشرًا يعيشون في مناطق زراعية مستقرة ، ويضم بشرًا من أصل قبلي ، ويضم بشرًا يتسمى حدودهم إلى مجتمعات تجارية ، وكل من هؤلاء يفكر بطريقة مختلفة ، من الصعب تعميم نمط واحد من التفكير على كل هؤلاء . ثم حتى على مستوى المجتمع الواحد نجد كبار المثقفين يفكرون بطريقة والإنسان العادي يفكر بطريقة أخرى ، فعندما نتحدث عن أزمة العقل ، هل نقصد الأزمة الموجودة في الطريقة التي يفكر بها الإنسان العادي ؟ أم نقصد النخبة ؟ نقصد تلك الصفة من المفكرين الموجودين في المجتمع ؟ هذه أيضاً مسألة يجب أن تأخذها بعين الاعتبار ، لأن في عالمنا العربي كثيراً ما يحدث أن شخصين متباينين زماناً ومكاناً يعيشان في نفس الوطن ، وربما كانوا جارين في السكن ، ولكن كلاً منها يعيش في عصر مختلف في زمن مختلف . هذا شيء ينبغي عمل حسابه عندما نتحدث عن أزمة العقل العربي .

وهكذا ترون ، أن العنوان الذي بدأ بسيطاً بريء المنظر يحمل في طياته تعقيدات لا يستهان بها . بما أنتي تحدثت عن العقل كمنهج أو كطريقة في التفكير ، والعقل كمجموعة من الأفكار ، فأتصور أن من المفيد أن أقسم حديثي إلى هاتين النقطتين .

## جوانب الأزمة في أسلوب التفكير

أبدأ بالكلام عن طريقة التفكير . سأفترض أن هناك سمات مشتركة بيننا جميعاً ، أو سأفترض أن هناك سمات أبرز من غيرها وأوضح ، وسأحاول أن ألسن بعض الجوانب التي تدل بالفعل على أنها نعاني أزمة في أسلوب التفكير ، في الطريقة التي تعالج بها مسائلنا العقلية .

بطبيعة الحال هذا موضوع شديد الاتساع ، وكل موضوعنا اليوم شديد الاتساع ،

ولا بد أن نغفل أشياء أساسية ، ولا بد لكل منا أن يكتفى بعض النقاط التي يراها هامة ، ويكون هناك تقصير مخل إذا عالجنا موضوعاً كهذا في مدة أقصاها أربعون دقيقة .

### الازدواجية الواضحة بين الفكر والسلوك

من الجوانب التي تلفت النظر في الأزمة التي تعانيها في طريقة تفكيرنا تلك الازدواجية الواضحة بين الفكر النظري وبين السلوك العلمي . كثيراً ما نجد في مجتمعاتنا ، وعلى كافة المستويات سواء على مستوى الفئات المثقفة أو الإنسان العادي ، حديثاً يتسم في كثير من الأحيان بالثالثة وبالأخلاق وبالسمو إلى آخره ، على حين أن السلوك الفعلي والتطبيقي يكون عكس ذلك على خط مستقيم . هذه الازدواجية خطيرة جداً ، لأنها تحول فكرنا في كثير من الأحيان إلى مجرد مواعظ كلامية تقال فقط على سبيل إرضاء الناس في ظروف معينة ، على حين أن القائل وربما المستمع في كثير من الأحيان لا يأخذ ما يقال بمحمل الجد . الأمثلة كثيرة جداً على ذلك في حياتنا . الأمثلة الواضحة بين دعوة الكثير من الناس إلى الزهد ، في الوقت الذي يجري الكثيرون منهم وراء المنافع والمصالح والمناصب و ...

سأحاول إلى جانب ذلك أن أضرب بعض الأمثلة من أزمة الخليج الأخيرة ، لأنها أزمة قرية جداً منا وكلنا أحستنا بها وعايشناها بكل اعصابنا ومن ثم فإن الأمثلة المستمدّة منها لا بد أن تكون واضحة لدينا . على سبيل المثال - وهذا شيء قلبه ولا أمل تكراره - المثقفون العرب كانوا يتحدثون دائمًا عن حقوق الإنسان والديمقراطية والحرية و ... إلخ ... وكم ألفت من كتب وكم ألفي من محاضرات حول هذا الموضوع ، وعندما وضعوا أمام الامتحان العسير صفق الكثير منهم لنظام لا يعترف

لابالحرية ولا بالديموقراطية ولا بحقوق الإنسان . بل يمثل في عالمنا المعاصر أبعد المجتمعات عن هذه المعاني النبيلة .

وأنا لا أقول هنا عن بشر عاديين أو عن مواطنين عاديين ، بل أتحدث عن قسم ثقافية عربية سقطت هذه السقطة ، ولا داعي لذكر الأسماء . فكان هذا دليل على أن كل ما كان يقال من قبل إنما كان كلاماً نظرياً ، وأن المثقف في داخله يعاني ازدواجية متواتنة يجعله يتكلم بطريقة ويسلك بطريقة أخرى .

### ادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة ولغاء الآخرين

مثال آخر على أزمة الطريقة التي يفكر بها : اعتقاد كل فريق من الفرق التي تمثل طريقة فكرية في عالمنا العربي ، بأنه يمتلك الحقيقة المطلقة ، وبالتالي فإن خصومه على باطل مطلق ، بصورة تامة وكاملة ولا مجال للتفاهم معه . من الشائع ، في الفترة الأخيرة ، أن تتحدث عن التعددية ، بعد ما ظهر شيء اسمه النظام العالمي الجديد ، وقيل لنا إن من أهم سمات هذا النظام التعددية ، وفكرة التعددية أن يكون المجتمع متعدد الاتجاهات الفكرية ، والأهم من ذلك هذه الاتجاهات المتعددة تستطيع أن تحمل بعضها البعض . هذا هو الأهم . تعدد الاتجاهات ، وألا يلحاً كل فريق إلى تخوين الفريق الآخر أو تكفيه أو إلغائه . هذا هو حور التعددية . بطبيعة الحال نحن نرى حولنا تيارات كثيرة تتصور بالفعل أنها تملك الحقيقة المطلقة ، وما دامت الحقيقة التي تملكتها مطلقة فلا بد أن يكون كل ما يملكونه الآخرون باطلًا بطلاناً تماماً لا مجال للتفاهم معه . هذا اتجاه ضار . والتفكير الذي يسير بهذه الطريقة يمكن أن يؤدي بالمجتمع الذي يشيع فيه إلى أوخم العواقب . للأسف إن بعض التيارات التي تدين بالاسلام السياسي في مجتمعنا العربي المعاصر ، أقول بعض التيارات وليس كلها ، تؤمن

بالفعل بأنها تملك تلك الحقيقة المطلقة ، وتريد أن تنفي كل ما عدتها نفيا تماما ، إن كان بالأسلوب المعنوي فلا مانع ، وإذا دعى الأمر بأسلوب المادي أيضا . وهذا شيء ربما تحدثت عن جوائب منه بعد قليل<sup>(١)</sup> .

ولكن الأمر الذي ربما لم يكن واضحأ لدى الكثيرين ، هو أن بعض التيارات الأخرى التي كانت حتى عهد قريب تمثل الطرف الآخر ، مثل التيارات الماركسية والاشراكية .. إلخ بعضها في مجتمعاتنا كان يفكر بهذه الطريقة ، وهذا هو الشيء الذي يدعو إلى العجب . ومن يتناول كتابا من الكتب التي تمثل هذا التيار في صوره

---

(١) هذه دسيمة من دماثن العلمانية ! تزع القادة عن المنهج الإسلامي برمهه : أصولا وفرعا ، ثوابت ومتغيرات ، محكمات ومتباينات ليف المنهج الإسلامي بعد ذلك على قدم المساواة مع بقية المذاهب العلمانية المطروحة في المعركة السياسية المعاصرة .

إن المنهج الإسلامي يفرق بوضوح بين الشرع الحكيم الذي يتمثل في الأصول الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع وبين الشرع المؤول الذي يتمثل في موارد الاجتهاد التي تثار فيها أهل العلم لأنها لم تكون محلاً للدليل قاطعاً من نص صحيح أو إجماع صريح .

فالأول هو وحده الذي يمثل الحقيقة المطلقة التي يجب أن ينتصر لها المسلمون كافة ، والتي من دخل فيها كان من أهل الإسلام الخضر ، ومن خرج عنها فقد خرج - هذا تعبير شيخ الإسلام - من الهدى إلى الشلاة .

أما الثاني فلا قداسة لمقرراته ولا عصمة لأصحابه ، ولا يذكر فيه على المخالف إنكاراً يؤدي إلى تجريحه أو التشريع عليه ، ولا يختص هذا الأخير بفرع المعاملات فحسب بل منه ما هو من فروع العبادات كذلك ، ولا تزال كلمات الفقهاء الأئمة تدوي على مدى الزمان والمكان ، وهي تزرع القدسية عن اجتهاداتهم البحثية واستبطاناتهم المخففة وزر الأمور كل الأمور إلى الله ورسوله .

وهل ينسى التاريخ مقوله إمام دار الهجرة مالك بن أنس : كل الناس يوخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ، ورفضه لما عرضه عليه ثلاثة من خلفاء بيبي العباس من أن يجعلوا من الموطأ المرجع الأعلى للدولة الإسلامية ! فلين هذا من ادعاء امتلاك المطلق ومصادرته الآخرين !

إن العلمانية المعاصرة تريد أن تزع القدسية عن أصول الإسلام ومحكمات الشريعة ! فمرجعية القرآن والسنة عندهم من المتغيرات ، وصلاحية الشريعة من المتغيرات ! وحجاب المرأة من المتغيرات ! وحرمة الخمور من المتغيرات ! والويل لمن يجادلهم في ذلك فإن تهمة التطرف وادعاء امتلاك المطلق ومصادرته الآخرين له ولأمثاله بالمرصاد !

الصراحة يجد كله مقسم في نظره إلى فكر مثلاً تقدمي وفكير برجوازي ، وتحت الكلمة برجوازي يدخل كل ما لا ينتمي إليه هو ، فكانت النتيجة تشويهاً كاملاً لختلف التيارات الفكرية التي يمرج بها عالمنا المعاصر ، وحتى العالم في مراحله التاريخية السابقة . يعني نذهب إذا رأينا حتى في هذه التيارات اليسارية جداً المتطرفة في اليسارية كان هناك شكل مقلوب من أشكال التعبير المعروف : « حزب الله » و « حزب الشيطان » ! هم أيضاً كانوا يقولون بشيء من هذا القبيل ، ولكن بصورة مقلوبة ، كل أنواع هذا التفكير المبني على أن الإنسان يمتلك حقيقة مطلقة لاتناقض في تصوره أنه ضار ضرراً فادحاً<sup>(١)</sup> . ولابد أن الحد الأدنى المطلوب هو التسامح ، قبول الرأي الآخر ، توجيه النقد إليه بالنصيحة إذا لزم الأمر ، ولكن الابتعاد تماماً عن محاولة إلغائه .

هناك نقاط أخرى كثيرة ، ولكن أريد أن أنتقل إلى الجزء الثالث ، حتى أترم بالوقت وهو القصد من الأزمة في مضمون تفكيرنا .

### أزمة إبداع

أنا أعتقد أن أزمة العقل العربي في جوهرها أزمة الفكر العربي ، يعني المضمون نفسه ، محتوى التفكير الذي تعتلي به عقولنا . الأزمة هنا هي أزمة إبداع ، أزمة افتقار إلى الإبداع . اعتقاد أنا الآن نشهد مرحلة يظهر فيها هذا الإشكال ظهوراً جلياً ، نحن نعيش في عالم فوجئنا ، منذ ثلاث سنوات ، بانقلاب شامل في أوضاعه . كل المفاهيم والمقولات التي اعتدنا عليها طوال عشرات السنين السابقة ، فجأة اختفت ، وفجأة

(١) وهكذا تختفي بهذا التعميم قيادة القرآن والسنة وتحول قواطعهما ومحكماتهما لدى الدكتور ومدرسته إلى مفاهيم نسية واجهادات بشرية يرد عليها ما يرد على سائر الأفكار الوضعية من التعديل والنسخ والقول والرد !! بل يؤكد الدكتور في أكثر من موضع من كتبه ومقالاته على تفضيل الفكر الوضعي البحث عن الفكر الوضعي الذي ينتد إلى جذور دينه ! نظراً لمرونة الأول وقابلية للتعديل لاعترافه بشرعيته البحة وجمود الأخير لما يزعمه لنفسه من قدانة زائفة وعصمة مدعاة !!

انقلب ، وبدلا من أن يكون هناك عالم ثنائى القطبين ، انهار أحد الطرفين انهيارا سريعا لم يكن أحد يتوقعه حتى من أشد خصومه ، والعالم الذي انتصر لا بد أن تغير معالمه عندما يصبح وحيدا ، ويختلف في هذه الحالة عنه عندما يكون هناك عالم آخر ينافسه .  
هذا شيء طبيعي .

فوجئنا . موقف جديد ، وهذا الموقف يؤثر على حياتنا ، على سلوكنا ، على أوضاعنا ، على علاقتنا بالعالم الحبيب بنا . لا نستطيع أن نتجاهله على الإطلاق ، لكن للأسف الشديد المثقفين في بلادنا وقفوا حازمين أمام هذه التغيرات . وفي تصوري هذه التغيرات كانت هي اللحظة الهامة جدا للإبداع ، يعني هنا يصبح مجال الإبداع . يعني أين ، مجتمعات العالم الثالث ، مثل المجتمعات التي نعيش فيها هي نوع مختلف ، وإنه مثلا نحن نحتاج إلى إعادة نظر صحيح ، ولكن لا تقييد بما يحدث لهذا المعسكر أو ذلك ، لأن مطالعنا من نوع آخر ، وتبني على هذا بالتدريج بناءات فكرية جديدة نستطيع أن نواجه بها العصر الجديد الذي سيقبل علينا في القرن القادم . عصر مخيف لا نملك إزاءه أذى نقف عاجزين ، ولكن الذي حدث عند نسبة كبيرة من المثقفين ، انهم اكتفوا بأن يظهروا الحيرة ، ويشهروا العجز ، وبعضهم من كان يدين بالاتجاهات التي انهارت أكفي بالتعبير عنها بالأسف والتندم ولطم الخدود في بعض الأحيان وانتهى الأمر عند هذا الحد .

هل نسلّم ؟ هل نقول إن هذا العالم أصبحت هناك قوة وحيدة فيه هي السيطرة ونسلّم لهذه السيطرة ؟ أبدا . أمام أعيننا منذ الآن علامات واضحة على أنه ، هذا المعسكر الواحد الذي يزعم أنه يملك العالم بلا منافس ، عوامل الانهيار موجودة فيه كامنة ، فيه أزمة اقتصادية طاحنة في أمريكا والإنجليز وغيرها من البلاد ، هناك أزمات سياسية لا أول لها ولا آخر ، هناك أزمات اجتماعية - الادمان - الجريمة .. إلخ .. هذه

الأمور تدل على أن المظاهر الخارجي الذي يدور لنا أن هناك قوة أصبحت المسطرة على عالم اليوم ، ليست مؤهلة أن تكون هي المسطرة . هذا يحتاج منا إلى إدراك ، هذا يحتاج منا تفكير في الأوضاع الجديدة في هذا العالم ، ولكننا للأسف نفتقر إلى هذا .

### البديل الإسلامي السياسي وانقاده إلى التفكير الإباداعي

كما تعلمون ، هناك في مجتمعاتنا بديل إسلامي سياسي - ودائماً أقول إسلامي سياسي - ولا أقول إسلامي فقط - لأننا جميعاً إسلاميون ، تربينا في ظل الإسلام ، وأباً أو أمّا وأجدادنا إسلاميون ، وعلى ذلك لا أحاب أن أتصرّ صفة «الإسلامي» على فريق بعينه ، وإنني أقول إن هناك بدليلاً إسلامياً سياسياً ، يطرح علينا ، هذا البديل يدعو إلى التغيير ، وهو يكتسب كل يوم شعبية متزايدة ، لأن الناس بالفعل تزيد التغيير . ولكن التغيير هو نقطة البداية . أصعب الأمور هو ما يأتي بعد التغيير ، فأين هذا الاجتهد الذي تتوقعه من الذين يدعون إلى هذا التغيير<sup>(١)</sup> ؟ أين التفكير الإسلامي الإباداعي الذي يجعلنا مطمئنين إلى أننا حين يحدث سوف تحكم من معايشة عالم رهيب ، بعض عناصره تصل إلى درجة التوحش ؟ تجري أمامنا بسرعة ، ويتقدم في مجالات علمية وتكنولوجية ، وكل يوم في موقع مختلف ، والمنافسة فيه حامية ، ولا مكان فيه للضعف . عالم تظهر فيه قوى جديدة ، مثلاً في آسيا ، حتى من البلاد التي كانت متخلفة تخلفاً كبيراً حتى عهد قريب . وقوى أيضاً متدخل ساحة المنافسة بجد لنفسها مجالاً في هذا الجديد الذي هو أشبه بحلبة المصارعة . أين الاجتهد الإسلامي الذي يضمن أننا سوف نجد لأنفسنا مكاناً في هذا العالم ؟ وسوف نعرف

(١) يطالب بالاجتهد في فروع الشريعة من آمن ابطاء بمرجعية هذه الشريعة ، أما من يرى مشروعه الفكري على الكفر بمرجعية الشريعة في علاقة الدين بالدولة فلا تعدو مثل هذه المطالبه منه أن تكون لعونا من المثاره وإضاعة الورق .

كيف نتحدث مع هذا العالم بلغته؟ إذا لم نتحدث بلغته فسوف يحرفنا التيار بلا شك .  
هنا أيضاً توجد أزمة إبداع ، وهذه الأزمة لا بد أن نسعى جمِيعاً إلى تجاوزها .

### ليس في تكوين العقل العربي ما يمنعه من الإبداع

إذن في كلا الطرفين أزمة الإبداع واضحة . لكن وهذه هي الكلمة الأخيرة ، حين نتحدث عن أزمة الإبداع فهل نقصد بذلك أن هناك شيئاً في تكوين العقل العربي يجعله عاجزاً عن الإبداع؟ هل نحن في فطرتنا كذلك؟ بالطبع لا . وكلكم تعرفون الشخصيات العربية التي عندما انتقلت من بيئتنا إلى بيئات أخرى تشجع على الفكر والعلم وغيره ، تألفت وأصبحت شخصيات معروفة عالمياً . إذن ليس في داخلنا شيء يمنعنا من الإبداع ، نحن قادرون - شأننا شأن غيرنا - قادرون على الإبداع ، ولكن هناك عوائق أساسية تمنعنا عن هذا الإبداع .

### أزمة الإبداع سببها أزمة الديمقراطية

واسمحوا لي أن أحدد هذه العوائق فقط ، لأن كل إبداع مرتبط بالممارسة ، والممارسة مرتبطة بالحرية ، والحرية مرتبطة بالديمقراطية ، وعندما نصل إلى موضوع الديمقراطية فنحن نصل بطبعية الحال إلى جوهر هذه المعاشرة ، قمة هذه المعاشرة . وإلى نقطتها العليا . هذا شرط لاغناء عنه لنكي يكون هناك إبداع ، ولكن إذا ربطنا الإبداع بالديمقراطية ، وقلنا إن أزمة الإبداع هي أزمة العقل ، وأزمة العقل هي أزمة إبداع ، وأزمة الإبداع سببها أزمة الديمقراطية ، هذا يبدو أنه ليس كلاماً جديداً . أظن أن معظم الندوات العربية التي تتناول الموضوعات الفكرية من هذا النوع يتهمي بها الأمر ، بشكل أو بآخر ، إلى موضوع الديمقراطية .

ليست الأنظمة العربية وحدها هي التي تقف في وجه الديمقراطية  
ربما كان الجديد في موضوع الديمقراطية هو أن العقبات أو المعوقات التي تقف

في وجه الديموقراطية هي في عالمنا العربي الآن ليست فقط من ذلك النوع الذي اعتدنا الحديث عنه طويلاً ، يعني ليست الأنظمة العربية وحدها هي التي تقف عائقاً في وجه الديموقراطية ، طبعاً هواية الأنظمة في معاكسة الديموقراطية مستمرة ، يعني لا أريد أن يفهم من كلامي أني أقول تتمحّل في هذا الموضوع ، لكن الشيء الجديد على المسرح العربي الآن ، هو أن الديموقراطية تخذل على المستوى الشعبي أيضاً . يعني هناك ثغرات واسعة من الشعب تخاصم الديموقراطية ، وتكره الديموقراطية ، وتسعي إلى وأد الاتجاهات الديموقراطية ، لأنها تتصرّف أن حقيقتها هي وحدها الصحيحة ، وكل ما عدّها باطل بطلاناً كاملاً . فهذا وضع جديد ، لا أظن أنه موجود في كافة مجتمعات البشر الأخرى<sup>(١)</sup> .

#### (١) هنا تنويع في الإخراج للدسببة العلمانية السابقة :

من ادعى امتلاك المطلق فهو عدو للديموقراطية ، والتيار الإسلامي يدعى بذلك فهو إذن عدو للديموقراطية ويسعى إلى وأدّها !!

ومرة أخرى نؤكد على أن هذا خلط بين الحكم وبين المشاكل ، فالأصول الثابتة بالكتاب والسنّة والإجماع هي وحدهما التي تجعل هنا المطلق وهي التي يجب أن تكون الإطار المرجعي للعدالة المنشودة في دولة لا تزال تعلن أن دينها الرسمي هو الإسلام ،

وفي إطار هذه الأصول فإن أبواب التعددية مفتوحة على مصراعيها ومجالات الحرية أرحب مما بين السماء والأرض ! ومن صادر على غيره داخل هذا الإطار أو سعى إلى إلغائه فهو مراهن للمنهج الإسلامي ، والأمة كلها علماء وعامة له ولذلك هذا بالمرصاد !

هذا وإن التعددية المطلقة لا وجود لها في واقعنا المعاصر فما من أحد من الأمم وما من حضارة من الحضارات إلا وتنفع إطاراً مرجحاً للتعددية وإن ادعى ساستهم ومنظروهم خلاف ذلك .

وقد نص الدستور المصري في تعديله الأخير على سبيل المثال على قيام النظام السياسي المصري على أساس تعدد الأحزاب في إطار المقومات والمبادئ الأساسية للمجتمع المصري .

وإذا كان الحديث عن مجرد التسامح وعدم إلغاء الآخرين فإن الأمر أهون من ذلك فإن غير المسلمين في المجتمع الإسلامي من اليهود والنصارى وسائر المشركين لهم حق الوجود في المجتمع الإسلامي وصيانة حرمانهم ومقداستهم في إطار ماعرف بالمنهج الإسلامي بعقد الزمنة وهو يحصل لهم من الحقوق ما تضيق بهمثة أرحب الديموقراطيات في عالمنا المعاصر .

عادة الذي يناديء الديمقراطية هو النظام الموجود الآن ، عندما أضيف عامل جديد ، وهو أننا منقسمون على أنفسنا في هذا الموضوع . وطبعا لا داعي للإطالة في الحديث عن الديمقراطية ، ما أقصد شكلا من الديمقراطية ، يعني ديمقراطية غربية أو غيرها . مجرد وجود الحرية المكفرة للجميل . مجرد أن نسامح مع بعضنا البعض ، ونقبل فكر بعضنا البعض ، هذا هو الحد الأدنى المطلوب ، ولكن ذلك الحد الأدنى مع الأسف غير متواافق في كثير من الأحيان في عالمنا المعاصر .

إذن أريد أن أختم كلمتي هذه وأثنا ولله الحمد ملتزم بالموعد والوقت تماما - يمكن أن أختتمها بالقول إننا بالفعل نعاني من لزمة إبداع في كافة التبارات السائدة في مجتمعنا ، ولكنني يعود الإبداع إلى الازدهار من جديد ، لا بد أن يتواافق لدينا القدرة على أن نستمع ببعضنا البعض ، نفهم وجهة نظر بعضنا البعض ، وهذا يؤدي إلى تصحيح الكثير من أخطائنا ، أو على الأقل التفاهم يصبح أوضح وأسهل ، وكل تفاهم بين فئات المجتمع المختلفة يساعد على نهوض هذا المجتمع .

لعلني بذلك تحدثت عن الحد الأدنى ، ولكن حتى هذا الحد الأدنى نحن نفتقر إليه ، وأرجو أن تراجع أنفسنا مراجعة عميقه في هذا الميدان إلى قدرتنا على الإبداع ، ونجدد لأنفسنا مكانا في عالم الغد . وشكرا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الأستاذ سعد الرميحي :

شكرا للأستاذ فؤاد زكي على هذا الشرح الطويل الجميل .. والآن  
نصل إلى حوار الدكتور محمد عمارة . فليفضل .

## كلمة الدكتور محمد عمارة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سائر أنبياء الله من لدن آدم إلى خاتم المسلمين ، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .  
أيها الإخوة والأختوات ، سلام الله عليكم ورحمةه وبركاته .

في بداية حديثي ، اسمحوا لي أن أعبر عن سعادتي بوجودي بينكم هذه الليلة على قطعة عزيزة من أرض وطننا العربي وأمتنا الإسلامية .  
موضوع هذا الحوار ، أو المقابلة : عن «أزمة العقل العربي» . وكما صنع الأستاذ الدكتور فؤاد زكريا ، سأمر سريعاً على مضمرين المصطلحات الثلاثة لعنوان هذه المقابلة باختصار شديد :

إطلالة سريعة على المصطلحات الثلاثة

«الأزمة» : هي الشدة والضيق ، التي تعطل القدرات .

«العقل» : ليس عضواً مادياً ، وإنما هو ملكرة وهبها الله الإنسان .

ومفهومي لمصطلح «العربي» : ليس مفهوماً عنصرياً ولا عرقياً ، وإنما هو مفهوم لغوي وثقافي وحضاري ، محدودة اللغة العربية وبما أن العربية هي لسان الإسلام ، فإن التشابك والوحدة قائمة بين ما نسميه «العقل العربي» و«العقل الإسلامي» ، فيحدّي سينتارك الأمة الإسلامية ، باعتبار الأمة العربية هي القيادة والريادة والقلب لأمة الإسلام .

هل هناك عقل عربي وعقل غير عربي ؟

أسأل : هل هناك «عقل عربي» وعقل غير عربي ؟

نعم . . ولا - في ذات الوقت ! - فالذى يحدد إطار العقل هو موضوع التعقل . . ففي العلوم المادية ، في العلوم الطبيعية ، في العلوم الخايدة ، لا تتغير الحقائق بتغير المتعقل لها والناظر فيها ، هنا فكر إنساني ، ومشترك إنساني عام .

أما في العلوم الإنسانية ، في فلسفاتنا ، في تصوراتنا للكون ، في كل ما يهذب النفس الإنسانية ، هنا تغير الرؤى والفلسفات والحضارات والمواريث والثقافات . ففي هذا المعنى ، وهذا الإطار يكون هناك «عقل عربي إسلامي» و«عقل ملحد» و«عقل بوذى» و«عقل مسيحي» و«عقل يهودي» .. وهناك تعدد في الحضارات والثقافات .

هل عقلنا العربي في أزمة ؟

سؤال ثان : هل ، فعلا ، عقلنا العربي في أزمة ؟

أنا أقول : نعم . والشاهد على ذلك المقارنة بين إمكانات هذه الأمة وبين واقع الحال لهذه الأمة . العرب ربع مليار من البشر والمسلمون مليار وربع المليار .. يمتلكون وطنًا يمتد من «غانه» إلى «فرغانه» غربا وشرقا ، ومن حوض نهر الفولجا في الشمال إلى جنوب خط الاستواء .. ربع البشرية ، أو خمس البشرية هذه هي أمة الإسلام . ومع ذلك تعرفون حالها !

هذا الوطن يمتلك من الإمكانيات المادية ما يجعله :

الأول في البترول .. وفي الغاز الطبيعي .. وفي المنحنيز .. وفي الكروم .. وفي

القصدير .

والثاني في النحاس .. وفي الفوسفات .

والثالث في : الحديد .

والخامس في : الرصاص .

والسادس في : الفحم .

ويمتلك أطول أنهار الدنيا .. ويمتلك أقدم فلاج علم البشرية فن الزراعة ..

ويمتلك في بلد واحد ، كالسودان ، مئات الملايين من الأفنة الصالحة للزراعة ..

ويمتلك أكبر الغواصات النقدية .. ومع ذلك ، يتضليل غذاءه على موائد اللئام ؟

هذا شاهد على أننا نعيش في أزمة تخطيط وتدبير ، أي أزمة العقل العربي .

هذه الأمة تمتلك لغة ظلت لغة العلم لعدة قرون ، ومع ذلك تدرس العلوم باللغة

الأجنبية ، على حين ، حتى العربية ، لغة شذوذ الآفاق التي ماتت واندثرت ، تدرس بها

العلوم جميرا في جامعات إسرائيل ! هذه الأمة تمتلك حضارة وتراثاً جعلتها العالم

الأول على هذا الكوكب لأكثر من عشرة قرون ، وهي اليوم العالم الثالث بل والرابع ،

بل والخامس !

إذن ، المقارنة بين إمكانات هذه الأمة ، وبين واقع هذه الأمة شاهد حي ، بل

وصارخ ، على أن عقلينا يعيش في أزمة .

تعدد العقول العربية بتنوع المرجعيات الفكرية وتغاير مستوى الأزمة بينها

لكتني أسأل : هل هذا العقل العربي المأزوم واحد ؟ .. وهل الأزمة فيه في

مستوى واحد ؟ .. أم أنها يزيء أكثر من عقل عربي ؟ وتفاوت مستوى الأزمة لدى

كل نوع من هذه الأنواع ؟

من هنا يستطيع أن يقول إن مستوى أزمة «العقل القومي العربي» تساوي مستوى أزمة «العقل الماركسي العربي»؟ أو أنهما ، في مستوى الأزمة ، يضاهيان أو يشابهان مستوى الأزمة لدى «العقل الإسلامي العربي»؟

كلنا نعلم ما حدث للعقل العربي القومي منذ سنة ١٩٦٧ م .. وما حدث للعقل الماركسي العربي بعد هذا التراجع والانهيار بل المقوط من حالي الذي حدث لهذه المنظومة التي عاشت فكرها سبعين عاما ، وتطبيقاً سبعين عاما ، ثم دفعت كمال تدفنمنظومة فكرية أو تطبيقات لهذه المنظومات الفكرية في تاريخ الإنسانية على الإطلاق إذن ، العقل الإسلامي الآن فيه أزمة ، وأنا أحد كتبني الأخيرة عنوانه (أزمة الفكر الإسلامي المعاصر) .. لكننا ، حقيقة ، لا نستطيع أن نقول إن هذا الانهيار الذي حدث للعقل الماركسي العربي أو هذا الانحدار الذي أصيب به العقل القومي العربي .. إن هذا يشبه ما في العقل الإسلامي من قصور ومن ثغرات نطلب لها أن تعالج وأن تتطور .

إذن ، أقول : نحن لا نملك عقلاً عربياً واحداً ، بل عقول ، تختلف باختلاف الأساق الفكرية والمرجعيات الفكرية التي يتحكم فيها هذا العقل العربي .. ومستوى الأزمة ليس متساوياً لدى هذه العقول .

نتنقل إلى الحديث عن هذه الأزمة .

## أسباب الأزمة

هذه الأزمة ليست طارئة ، وليست جديدة ، وليست بنت العقود الأخيرة التي نعيشها .

هناك سببان أساسيان للأزمة - بالطبع هذه الظاهرة لا يمكن تفسيرها إلا بعديد من الأسباب - لكن هناك سببان أساسيان يتحكمان في هذه الأزمة :

## التخلف الموروث عن عصور التراجع الحضاري

الأول : - من حيث الوجود التاريخي - هو ذلك التخلف الموروث في حضارتنا عن عصور التراجع الحضاري ، التي حكم فيها العسكر المماليك والعثمانيون .  
بالطبع أنا لا أدين المماليك أو العثمانيين .. فالمماليك هم فرسان الاسلام الذين حموا وجود الأمة ، لكنهم لم يجددوا في الحضارة . والعثمانيون جددوا شباب العسكرية الإسلامية ، وصنعوا الأمجاد في الفتوحات ، لكنهم لم يجددوا في الحضارة .. وفي طول حكم العسكر ، حدث لدينا تراجع حضاري ، وحدث لدينا تقليد وجمود .. وهذا سبب من أسباب الأزمة .

يعنى أنه لدينا فريق من الناس يقلد ولا يبدع ، يتبع ولا يجدد .. نعمطي يقف أمام ظواهر النصوص ، ولا يرى ما وراء ظواهر النصوص . هذا لون من ألوان الأمراض ، وسبب من أسباب أزمة العقل العربي . وهو أن لدينا فريقا من الناس يقلد ولا يجدد ، ونموذجه ليس سلفنا الصالح ، ليس سلف عصر الإحياء والتجديد والإبداع والإزدهار ، وإنما عصر تراجعنا الحضاري على وجه التحديد ! .

## التغرب والاستلاب الحضاري

السبب الثاني لهذه الأزمة : وهو السبب الأكبر والأفعى والأقوى - هو هذا الوافد الغربي الضار .. هذه الهيمنة الغربية التي جاءتنا مع الغزووة الاستعمارية الحديثة . عندما لم يحتل العرب فقط الأرض وبنهب الثروة ويفيقيم القواعد العسكرية ليجعلنا هامنا اقتصاديا وسياسيا وأمنيا لمركزه الغربي ، وإنما - لأجل تأييد هذه التبعية - احتل العقل أيضا ، حتى تكون التبعية خيارنا نحن ، وحتى يتحول الغرب إلى «القبلة» التي تتوجه إليها في أمور حياتنا .

وأنا أريد أن أحذنكم عن العلاقة بين هذين السينين ..

لا تتصوروا أن هناك صراعاً بين «التغريب .. والاستلام الحضاري .. والتبني» لا تتصوروا أن هناك صراعاً بين «الجمود والتقليد» على ما كان عليه سلف عصر التراجع الحضاري ؟ للغرب» وبين «الجمود والتقليد» على ما كان عليه سلف عصر التراجع الحضاري ؟ بل أقول : إن «التغريب» هو أول مشجع لوجود هذا «الجمود» وهذا «التقليد» !

كلنا يعلم كيف حافظت السلطة الاستعمارية على المؤسسات التقليدية التي كانت تشيع الخرافية وتشيع الشعوذة في بلادنا ، بينما كانت هذه السلطة تخارب التجديد وتيارات الإحياء ؟

لقد قال لي ، مرة ، الدكتور لويس عوض : « يا دكتور ! شغلتك مهم ، لكنه خطير ؟ ! »

قالت له : « لماذا ، يا دكتور ؟ ! .. فقال : « لأنك تجدد الدين .. فتحبيه .. لكنه بشكله التقليدي سيموت ، وتخلاص منه ! » .. ثم أضاف : « ومحاولات التجديد هذه كان يحاولها حسن البنا » ! - هذه كلمات لويس عوض ! - إذن ، «التغريب» و «الاستلام الحضاري» والتبني للغرب تزيد هذا الجمود وهذا التقليد ، لأنه عاجز عن تقديم البديل للنموذج الغربي ، وعجزه هذا يجعل المنطقة متنفسة فراغ ، فيملؤها هذا «التغريب» .

إذن ، أقول : إن هناك مسؤولية لتيار التغريب والاستلام الحضاري - التيار الذي يشر بالنماذج الغربية - والذي يدير ظهره لأصالتنا وحضارتنا - هناك مسؤولية له عن هذا الجمود والتقليد ! ..

لم يكن الإسلام موضع اعتراض من المغاربة عندما كان مجرد شعار وأقول لكم : لم يكن الإسلام موضع اعتراض من المغاربة ، عندما كان يتحدث

في شعون الآخرة وحدها ، وعندما كان خطيب المسجد يتحدث عن السماء وكأنه خبير في جغرافيتها ، بينما هو يجهل جغرافية الحي الذي يعيش فيه ! وعندما كان الإسلام مجرد شعائر حتى الغلو في هذه الشعائر لم يكن موضع اعتراض ! .. حدث الاعتراض من المغاربة على الإسلام ، عندما أصبح هذا الإسلام دينا ودنيا ، دولة وشريعة وعقيدة .. وعندما تحدث الناس بالإسلام عن شئون الحكم .. عن الشورى .. عن الأموال .. والعلاقات الدولية إلخ ..

إذن ، عندما أصبح الإسلام بديلا للتغريب والإستلاب الحضاري .. هنا أصبح الإسلام مكرورا ؟ وهنا رأينا من الذين لم يكونوا يعارضون على التدين الشكلي .. التدين المنقوص .. رأينا منهم حرفا شعواء على تكامل الإسلام ، وعلى هذا البديل الذي يقدم للنموذج الغربي !

إذن ، التخلف والجمود والتقليد وكذلك الهيمنة الغربية والوائد الضار والإستلاب الحضاري – وبينهما هذه العلاقة ، التي أشرت إليها – هما أسباب أزمة العقل العربي الإسلامي .

\* \* \*

## مظاهر الأزمة .. ونتائجها

سأتناقل إلى مظاهر هذه الأزمة .. ونتائج هذه الأزمة ..

## الانقسام في المرجعية الأصول

أول مظاهر هذه الأزمة : ذلك الانقسام الحادث في عقل هذه الأمة بين الذين جعلوا سلفهم الفكر الغربي – وأنا أقول لكم : إن المغاربة والعلائين سلفيون حتى

النخاع؟! أنا سلفي . ورأي أن كل إنسان لا بد وأن يكون سلفيا ، بمعنى أن يكون له سلف وماضي - لكن القضية : من هم سلفك ؟ وكيف تعامل مع هذا السلف ؟ تهاجر إليهم؟! أم تسترشد بالثوابت من فكرهم ؟

فأنا لا أُعيب مصطلح «السلفية» .. ولكن أقول : إنه مصطلح مظلوم في واقعنا .

لكني أقول : إن الذين يريدون حل مشاكلنا بالنموذج الحضاري الغربي هم سلفيون ، لكن سلفهم هو الغرب ! فنحن لدينا سلفية تهاجر من «الزمان» فتعود إلى الماضي ، وسلفية تهاجر من «المكان» ، فتصبح قبليتها هي الغرب ، وتتصبح مذاهب الغرب هي مرجعيتها - ليس فقط مذاهب الغرب ، بل إننا نرى أناساً يشررون حتى «بالأمراض الفكرية» للغرب !؟ .. نجد الحديث عن مذاهب الوجودية وغيرها .. وكل النظريات ، حتى التي تسقط في الغرب ، يتحدثون عنها باعتبارها هي النهاذج ! .. فأقول : إنها السلفية النصوصية ، التي تقف أمام النصوص ، وظواهر النصوص .. لكن سلفها هو الغرب .

هذا الانقسام العادل في عقل الأمة ، هو الذي يحرم الأمة من الإجماع على مرجعية واحدة للنهضة الحضارية . وأخطر ما في هذا الانقسام أنه ليس مجرد تعددية .. فالتجددية المشروعة هي التجددية في «الفروع» ، لكن لا بد من وحدة المرجعية ، لا بد من مساحة للأرض المشتركة ، تحتها الأمة وتنطلق منها ، ثم تتعدد في الفروع .. فلا تعددية في «الأصول» ، وإنما التجددية في «الفروع» هذا الانقسام ليس تعددية صحيحة .

وأخطر من هذا ، أن عملية «شد الجيل» بين الذين يرجعون بمرجعيتهم إلى الإسلام وبين الذين قبلتهم الحضارة الغربية نتيجتها لا غالب ولا مغلوب في هذا الصراع بين الفريقين ؟!

صحيح أن «الشارع» أغلبه إسلامي ، لكن العلمانيين - وهم قلة بالنسبة إلى

الإسلاميين - إلا أنهم في يدهم السلطات والمؤسسات .. ومن هنا ، إذا كان هناك تعادل بين الفريقين في هذا الصراع .. في «شند المجل» .. فمحصلة هذا الصراع : «صفر» !؟ .. لا غالب ولا مغلوب ! .. ومن هذا ترى عجز الفريقين عن أن يحقق أي منهما مشروعه في أرض الواقع .. وإنما بأسنا بيتنا شديد ، على عكس ما أراد الله لنا «محمد رسول الله والذين مهه أشداء عله الكفاف وحماء بينهم» [القصص: ٢٩] .. هذا الانقسام جعل بأسنا بيتنا شديدا ، وجعلنا رحماء على أعدائنا !.

### ظاهرة التكفير المتداول

وهذا الانقسام في المرجعية والأصول يجعلنا نرى ظاهرة «التكفير المتداول» .. فالذين يُكفرون ليسوا فقط الإسلاميين . لأنك إذا نفيت بيارا من أن يكون له حق في المشروعية والشرعية ، فهذه هي قمة «التكفير» .. وعندما تأتي «بديمقراطية» الاستثناء ، فتستوي منها أغلبية الأمة ، والتيار الإسلامي ، وهذه هي قمة «التكفير» !! حتى الذين عاشوا عمرهم يتحدثون عن الليبرالية والديمقراطية ، شاهدنا سقوطهم في تحريرية الجزائر !؟ .. شاهدنا سقوطهم في تحريرية تونس !؟ .. لا يتحدثون عن «العسكر» إلا إذا كان هذا «العسكر إسلاميا» !؟ .. لم يكتشفوا أن «جعفر نميري» عسكري عندما كان «برطنا» بالماركسية ، ويتحالف مع الشيوعيين .. لم يكتشفوا أنه عسكري إلا عندما نحدث عن الإسلام والشريعة الإسلامية !؟ .. يتحدثون عن «عمر البشير» وكأنه العسكري الوحيد في النظم العربية !؟ ..

أقول : إن هذا سقوط في معيار الليبراليين ومعيار الديمقراطيين عندما يتحدثون عن ديمقراطية الاستثناءات ، ويريدون أن يستثنوا لاقلة من الناس ، بل يستثنون أغلبية الناس !؟ ..

بل المدهش اليوم حديث الماركسين عن الليبرالية ، وهم أعداؤها التقليديون ! ..  
 بل ويتحدثون عن الوطنية ، وهم الذين طفت أدبياتهم على مر تاريخنا بهذا الموقف  
 الذي جعلوه مبدأ ، وقالوا عنه : « إن معيار الوطنية هو الموقف من الاتحاد السوفياتي ! .. »  
 فإذا كنت ضد الاتحاد السوفياتي فأنت لست وطنيا ! وإذا كنت مع الاتحاد السوفياتي  
 فأنت وطني ! .. الآن يتحدثون عن الوطنية . ويطالبون بجهة وطنية متحدة لمواجهة  
 الإسلاميين ! أين كانوا من مفهوم الوطنية ؟ وأين كانوا من مفهوم الليبرالية ؟ ..

## ليسوا سواء !!

وأنا أقول لكم ! إن هذا لون من ألوان الأزمة ، لأنه يخلط الأوراق في الواقع الذي  
 نعيش فيه . لكنني أسأل سؤالاً : هل معنى أن سبباً للأزمة هما : الجمود .. والاستلاب  
 الحضاري .. أنهما في الحجم ، سواء ؟ .. ومن ثم فالمسؤولية عليهم سواء ؟ ..

**شريحة الجمود قلة في الإسلاميين وأهل الاستلاب الحضاري هم أغلبية العالمةين**

أنا أقول : لا .. فأهل الجمود في الجانب الإسلامي قلة من الإسلاميين - لقد  
 كنت أناقش أحد الإخوة من الشيعة .. قلت له : إنكم ٨٠ مليون شيعي .. والوهابيون  
 ٢ مليون - بل والحنابلة - لا يتتجاوزون خمسة ملايين - بينما المسلمين مليار وربع  
 المليار .. فلماذا تحولون الوهابية إلى المشكلة التي ت يريدون أن تشغلوها بها ؟ !<sup>(\*)</sup>

أنا أقول : إن شريحة الجمود والتقليد هي قلة في الإسلاميين .. بينما الجسم  
 الأكبر في العقل الإسلامي هو التيار الوسطى المعتدل .. التيار العقلاني .. التيار

(\*) في إطلاق القول بنسبة الوهابية إلى الجمود خطأ ظاهر ، فالوهابية حركة من حركات الإحياء  
 والتجديد الشامل داخل إطار أهل السنة والجماعة ، وبصماتها في حرب الشرك والخرافة وتجديد ما اندثر  
 من شعائر الإسلام وشرائعه لا يخفى على أحد . وإن كان هذا لا يعني بطبيعة الحال تعصيم الحركة  
 الوهابية في كل ما تأبى أو تذر من قول أو عمل فإن رجالها يشر من البشر يخطئون وبصماتهم وكل  
 الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ .

المستثير ، الذي يقدم الإسلام - بقدر إمكاناته واجتهاداته - على نحو معتدل ومقبول.. بينما أهل الاستلاب الحضاري والتغريب هم أغلبية العالمانيين .. يعني على حين أن الجمود لا يستولي إلا على قلة من الإسلاميين ، فإن الاستلاب الحضاري والتغريب والتبعية الحضارية صفة أغلبية العالمانيين ..

بالطبع أنا لا أريد أن أعمم ، لأن في العالمانيين فئات قومية ووطنية ، ندعو للحوار معها ، لأنها جزء من عقل الأمة ، ولا بد أن يتوحد هذا العقل على المرجعية والأصول ، مع الاختلاف في الفروع كما يشاء المخالفون .

إذن ، نحن أمام «عقل» ولسنا أمام «عقل» واحد .. بل أكاد أقول أمام «أمم» ،  
وليس «أمة» واحدة !

### أزمة الفوضى ١

وأسأرب لكم بعض الأمثلة على هذه الفوضى في استعمال المصطلحات ..  
يعنى : فوضى الأزمة .. وأزمة الفوضى ! .. ورأفت عند بعض المصطلحات الفكرية  
المتداولة لتكشف قمة الأزمة التي نعيش فيها :

الحرية :

### حرية الإباحية والشذوذ والخروج على الأعراف

كثيرون يتحدثون عن الحرية بمعنى الإباحية . فيقبلون - بمعايير الحرية - حتى  
الشذوذ والخروج على الأعراف ، عملاً بمبدأ الحرية والإباحية .. وفي نفس الوقت  
يحرمون الحرية على التيار الإسلامي إذا التزم بعض القيم الإسلامية ! .

لم أقلّ لعالماني نقداً واحداً للمرى ولا للشذوذ ولا لأندية الرقص والتحلل الخلقي  
الذي يعيش في كثير من بلادنا . لكنهم أجمعوا على العداء لحرية المرأة في أن تستر

عوراتها ، أو أن تختسم بالحشمة الشرقية ١٩ .

إذن لهذا لون من المقاييس المختلفة في استعمال كلمة حرية ومصطلح الحرية .

### الديمقراطية :

يدعوننا إلى الإجتهد في الدين ويحرمون علينا الإجتهد في الديمقراطية ١١ .. وفي الحديث عن الديمقراطية .. يدعوننا إلى الإجتهد في «الدين» ، ويحرمون علينا الإجتهد في «الديمقراطية» ١٢ .. إذ قلنا نحن مع الديمقراطية بشرط أن لا تخل حراماً أو تحرم حلالاً ، فأضفنا إضافة إلى الديمقراطية .. قبلنا مؤساتها وأدبياتها ومقاصدها ، لكننا ضبطناها بالشوري الإسلامية ، يحرمون ذلك علينا ، ويقولون إن هناك تيار شعبي ضد الديمقراطية ١٣ .. أنت تطلب الإجتهد في «الدين» وتحرم الإجتهد في «الفكر الغربي» في «الديمقراطية» ١٤ .. إذا ضبطت الديمقراطية ، وقلت : نعم ، السلطة للأمة ، ولكن السيادة في التشريع لله تعالى ، والحكم له ، وأن الأمة مصدر السلطات ، شريطة لا تخل حراماً ولا تحرم حلالاً - وهذا هو الفارق الوحيد بين الشوري الإسلامية والديمقراطية - إذا قلنا هذا الضابط أو هذا الفارق يحرمون علينا الإجتهد في الديمقراطية ، ويعيرون علينا أنها لا تفتح باب الإجتهد في الدين لكل من أراد ، عالماً كان أو غير عالم ١٥ .

### مصطلاح العقلانية :

### عقلانية الغزو الفكري والإستلاب الحضاري

ليس هناك دين على ظهر هذا الكوكب يجعل معرفة الله طريقها العقل سوى الإسلام ، بل إن الإسلام يقدم العقل على النقل ، لا تقديم تشريف بل تقديم ترتيب ١٦ .. لأنك لن تفهم النقل إلا بالعقل .. أنت إذا خرجم من متراكع لتصلي

في المسجد ، فلا بد أن تمر بالشارع قبل المسجد .. ليس معنى ذلك أن الشارع أفضل من المسجد ! لكن التقديم تقديم ترتيب ، لا تشريف ولا تفضيل .

هل هناك في الدنيا دين يحکم إلى العقل ؟ و يجعل العقل أعلى مرأة التكليف

كالإسلام ١٩

لكتهم يريدون لنا «عقلانية الغرب» و «اليونان» ، التي تبلورت في بيئة لا وحي فيها ، والتي لا تحکم إلا إلى العقل فقط ! نقول لهم : العقل هداية من الله للإنسان ، لكنه ليس الهدایة الوحيدة .. هناك : هداية الحواس والمشاعر الخمس .. هناك : هداية الوجودان .. هناك : هداية الوحي ، التي تبتعد عن عالم الغيب ، التي لا يستطيع العقل الإنساني - بصفته ملكة للإنسان ، نسيي العلم ، الغير محبط بالعلم - أن يستقل بإدراكها .. هناك أربع هدایات .. لا اثنان فقط ! .. الوحي .. والعقل .. والحواس .. والوجودان .

نحن لا ننقص من العقل ، لكننا نضيف إليه .. ومن هنا نقدم العقلانية الإسلامية .

أما هم ، فعندما يتحدثون عن العقلانية ، فإنهم يتحدثون عن عقلانية الغرب - واليونان والفكر الوضعي ، الذي لا يرى علما ولا حقيقة ، إلا ما يلمس بالحواس ! نقول لهم : هذه عقلانية الغزو الفكري والاستلاب الحضاري .. ونحن مع العقلانية الإسلامية ، التي عندما حكمت كانت لنا السيادة على الدنيا بأجمعها ، يتوازن فيها كتاب «الوحي - المقررة» وكتاب «الكون - المنظور» ، فقامت ثقافتنا وحضارتنا على ساقين ، لا على ساق واحدة ، كحال الحضارة الغربية التي يشرون إليها .. تلك التي تقوم على ساق المادة وحدها ، حتى لقد رأينا ونرى في مجتمعات بلغت القمة في التقدم المادي ، وبلغت القمة في التحلل والانحدار الخلقي والروحي .. بلد مثل

السويد: أعلى مستوى معيشة في العالم وأعلى نسبة القلق والانتحار في العالم<sup>19</sup> وقس على ذلك الكثير من البيئات والمجتمعات الغربية .  
نحن لسنا ضد العقلانية .. لكن الأزمة الفكرية تشهو وتشيع الفرضي في هذه المصطلحات التي تداولها .

الشوك

## عبادة العقل والهجوم على الدين !

يتحدثون كثيراً عن التغير .. هل الإسلام ضد التغير ؟

إن الله ، سبحانه وتعالى ، حين يتحدث عن القرآن ، يعلمنا أنه « نور » : « **فَامْنُوا**  
بِالله وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الْخَلِيلِ أَنْزَلْنَا » (التغابن : ٨) .. إذن ، القرآن نور .. وكل مسلم  
 حقيقي لا بد أن يستثير بنور القرآن ، والرسول ﷺ نور ، « **فَتَجَاءُكُمْ** من الله نور  
**كِتَابٌ مِّنْ** » (المائدة : ١٥) ..

إن التأثير الذي يتحدثون عنه ، هو التأثير بالمعنى الغربي : أي عصر وفترة عبادة العقل والهجوم على الدين !

وشاهدنا على ذلك آخر ما صنعه عندنا ، في القاهرة ، في الاحتفال بمنوية دار الهلال .. لقد عرضوا التتويير في مسرحية ، أو «أوبريت» - في دار الأوبرا - فأتوا بالدكتور طه حسين «في الشعر الجاهلي» - الذي شكك فيه في القرآن الكريم .. في قصة إبراهيم وإسماعيل وإقامة قواعد البيت .. وفي الرحلة الحجازية لإبراهيم - مع أن طه حسين قد حذف الـ ٢٨ سطرا التي كتب فيها هذا التشكيل ، ونشر الكتاب بعنوان آخر - «في الأدب الجاهلي» - .. لكن طه حسين - في عرفهم - عندما تراجع ليس من التتويير ! .. ولكن عندما شكك في القرآن الكريم ، وهذا هو

## التغير ؟

النموذج الثاني من «التغير» - عندهم - «علي عبد الرزق» عندما أنكر أن  
محمدًا قد أقام دولة ، وأن في الإسلام سياسة ، وعندما كتب وقال : «يا بعد ما  
بين الدين والسياسة» .. هذا هو علي عبد الرزق التغيري ! .. أما عندما كتب في عدد  
مايو سنة ١٩٥١ م من مجلة «رسالة الإسلام» يقول : إن كلمة «الإسلام مجرد  
رسالة روحية» هي كلمة ألقاها الشيطان على لسانى ! .. فهم لا يعتبرونه تغيريا .. بل  
ولا يذكرون هذا التراجع ! . فالتحير هو موقفه الأول - الذي تراجع عنه - فقط لا  
غير !

أما الطامة الكبرى ، فكانت عندما جاءوا - في «الأوربيت» - بقاسم أمين ..  
فنموذج المرأة التي حررها هي التي تتكلم مع الأجنبي ، رغم ألف زوجها .. فلما  
اعترض الزوج ، جرت خلفه - قائلة : تعال لأضربيك «علقة كل يوم» ! ? ..  
التغير - عندهم - في تحرير المرأة : أن تضرب المرأة زوجها «علقة» كل يوم ! ..  
هذا هو لون التغير الذي قدموه ويقدمونه في الاحتفال بمئوية - دار الهلال - ومجلة  
الهلال ! ..

## المشروع الحضاري :

من ذا الذي يضع محمد عبد مع سالمه موسى ؟  
يزيفون ويقولون إن المشروع الحضاري تراجع ! ..

ولعلمكم جميعاً قرأتم ما يقولون من أن مشروع الأفغاني ومحمد عبد ، تراجع خطوة  
إلى الوراء على يد رشيد رضا .. ثم تراجع خطوتين على يد حسن البنا .. ثم تراجع  
كثيراً على يد الجماعات الجديدة ! ..

لكني أقول لهم : هذا تزيف في الحديث عن المشروع الحضاري .. ألمتنا - في عصرها الحديث - لم تبدأ بمشروع حضاري واحد . وإنما بدأت بمشروعات حضارية متعددة ومتخصصة ..

من الذي يضع محمد عبده - الذي يبشر بالنهضة على أساس الإسلام ، ويقول : إن الإسلام هو سبيل الإصلاح - من الذي يضعه مع سلامة موسى - الذي يقول لا بد أن تخرج من آسيا فتلتحق بأوروبا .. ونحن لا نريد العربية : لغة القرآن ، ولكن نريد لغة الديموقراطية والأوتومبيل ! .. ويقول : إنني كلما نضجت زاد حسي للغرب وزادت كراهيتي للشرق ! فأنا مؤمن بالغرب ، كافر بالشرق - من الذي يضع محمد عبده وم مشروعه الحضاري مع سلامة موسى ولويس عوض ومشروعهما الحضاري !؟.

إذن ، لدينا مشروع حضاري تبنته الحركة الإسلامية ، والتيار الإسلامي .. وأنا أقول لكم : لقد ناقشت رسالة جامعية - في كلية التربية - جامعةطنطا - عن « التربية السياسية عند الإخوان المسلمين » ، ثابت فيها - من أدبيات الإخوان المسلمين - أن حسن البناء كان يدرس لجماعته أحضر وأهم كتابين لـ محمد عبده « رسالة التوحيد » و « الإسلام والنصرانية بين العلم والمدينة » - وفيهما قمة التأثير العقلاني عند محمد عبده !

إذن ، مشروع الأفغاني ومحمد عبده لم يتراجع ، وإنما استمر ، في التيار الإسلامي ، يتتطور - بالطبع - بنطورة الظروف وتطور الملابسات .. وليس لدينا مشروع حضاري واحد .. وإنما مشاريع .. والمشاريع التي بدأت متغيرة لا تتزال متغيرة - والمشروع الذي بدأ إسلاميا ، فيه اتجاهات وتوجهات على الساحة الإسلامية .

رقبة التاريخ :

إنهم يستقون التاريخ من ألف ليلة !

في الكلام عن التاريخ ، ورؤيتهم للتاريخ ..

نحن لدينا في تيار الجمود والتقليل من يرون أن كل تاريخنا هو نموذج مثالى .. وهذا  
وهم من الأوهام .

لكن العلمانيين يرون تاريخنا - باستثناء فترة عمر بن الخطاب وستين عمر بن  
عبد العزيز - اعتباره ظلاماً دامساً !؟

نحن لا ننكر أن «الدولة» - في تاريخنا - قد انحرفت ، ومنذ وقت مبكر .. منذ  
الدولة الأموية .. ولكن حدود «الدولة» لم تكن مثل حدود «دولة» اليوم ، تتدخل في  
كل شيء .

معاوية بن قاتونا وشعرا قال : «لن نمنع الناس ألسنتهم ما خلوا بيننا وبين  
أمرنا !؟ - أي : اتركوا لي «الكرسي» واصنعوا ما شئتم !؟ .. كل الأئمة والعلماء  
بنوا الحضارة .. كل ما ترزو به حضارتنا الإسلامية على الدنيا .. كل ما تتعلمذ عليه  
الغرب وغير العرب ، نشأ في ظل الدولة الأموية المنحرفة والدولة العباسية . إذن نحن لا  
نقدم صورة وردية لتاريخنا كما أنها لا تهيل التراب على تاريخنا . إذن الأمة هي التي  
صنعت الحضارة .. والمذاهب .. والتيارات الفكرية .. الفقه .. والمحوار .. العلوم المدنية ..  
والعلوم الحضارية .. والعلوم الشرعية .. حتى الجهاد في سبيل الله - كان صناعة  
الأمة ! .. ثلاثة أرباع الأرض الزراعية كانت وقفا ، في تاريخنا .. أي أن الأمة هي التي  
صنعت هذه الحضارة ، والمؤسسات الأهلية هي التي صنعت هذه الحضارة .. فانحراف

الدولة ، في وقت مبكر ، لا يعني أن تاريخنا كان ظلاما ، وأنا عشنا هذه العصور في ظلام .. وأنا قلت وصفا لهؤلاء الذين يقولون هذا الكلام : إنهم يستفون هذا « التاريخ » من [ ألف ليلة وليلة ] وليس من كتب التاريخ الحقيقة !

### المجتمع المدني :

خجلوا من كلمة العمالانية فأطلقوا شعار المجتمع المدني !

الآن ، بعض العالمانيين عندما خجلوا من كلمة « العمالانية » ، يطلقون شعار « المجتمع المدني » ! ومن قال إن الإسلام ليس مع « المجتمع المدني » ؟

الدولة : دولة مدنية .. هل جبريل عندما نزل من السماء ، نزل وعلى يده الدولة ومؤسسات الدولة ؟! هذا صنع البشر ، والقضية هي قضية المرجعية .. هل المرجعية « الفكر الوضعي وحده » ؟ أم الفكر الوضعي الملائم بالمرجعية الدينية - كتاب الله - ؟ .. وهذه هي نقطة الخلاف .

وأنا آقول : عندما نرجع إلى قوامينا القديمة - نرجع إلى [ التعريفات ] للجرجاني - أو [كتشاف اصطلاحات الفتن] للتهانوي - نجد أنهم يعرفون « السياسة الشرعية » بـ « السياسة المدنية » ! .. هذا الكلام قديم .. فمن الذي يجعل المؤسسات المدنية مقابل النظام الديني والصيغة الإلهية التي يصطفي بها هذا المجتمع المدني ؟!

هذه أمثلة لخلط الأوراق والمصطلحات .. مجرد أمثلة تشهد على أننا نعيش فوضى لهذه الأزمة ، وأزمة مليئة بهذه الفوضى في هذه المصطلحات ! . وهذا هو الذي يكسر ما قلت عنه إنه انقسام حقيقي في المرجعية وفي المفاهيم .. فتحدث وكان الحوار حوار الطرشان ، لأن ما يعنيه هذا بكلمة « المجتمع المدني » غير ما أعنيه أنا .. وهكذا في

«الدولة المدنية» .. و«التقى» .. إلخ .. إلخ ..

هذا لب وجوه الأمثلة الشاهدة على وجود هذه الأزمة في العقل العربي والعقل  
الإسلامي ..

لا تبخسوا الناس أشياءهم

وإذا كنا نشهد الآن صعوداً في الفكر الإسلامي والعقل الإسلامي ، فليس  
صحيحاً تسؤال الدكتور فؤاد : «.. وأين الاجتهادات ؟ .. [ لا تبخسوا الناس  
أشياءهم ] ! ..

جالس هنا الشيخ يوسف القرضاوي .. وهو نموذج من كوكبة من المفكرين  
الإسلاميين . أنا أزعم أن المكتبة الإسلامية ، في العقود الأخيرة ، فيها من الإبداع  
الفكري .. ما يكون الكثير من معالم مشروع فكري حضاري مديد الواضح .. بل  
ومعالم سياسات محددة في كثير من الأمور .. ثم يتحدثون عن الغموض ؟

هل نحن ندعوكم إلى غامض أو جديد ؟ .. نحن ندعوكم إلى الإسلام ، الذي  
جريدة الأمة فجعلها العالم الأول ، على امتداد عشرة قرون ! .. هل عندما نقول :  
الإسلام - يقال : هذا غموض ؟ ..

بالطبع ، لا بد أن يكون هناك اجتهداد .. ومزيد من الاجتهداد .. وهناك عشرات  
من القضايا المستحدثة في واقعنا لا زالت علامات الاستفهام عليها ، وتحتاج إلى مزيد  
من الاجتهداد .. مطلق العقل لا بد أن يكون مجدداً على الدوام ! .. إذن ، نحن مع  
الاجتهداد ، ونقول : تعالوا إلى أرض الإسلام ، وإلى مرجعية الإسلام وكونوا - إذا  
امتلكتم أدوات الاجتهداد - من أئمة الاجتهداد في عصرنا ! .. فغلق باب الاجتهداد وهم  
وخرافة لا يفكر فيه عاقل ! .. لكنني أقول إن لدينا اجتهادات ، ولا يجوز أن نبخس

الناس أشياءهم !؟ .. لكن نزيد المزيد والمزيد والمزيد .. وهذه حقيقة .

\* \* \*

الغلو :

### القنفذ إذا شكته أظهر شوكه ١

ثم أتساءل :- مع هذا التصور في البقظة الإسلامية - وتيارها الأساسي هو التيار الوسطي المعتدل - لماذا هذا الصعود لتيار الجمود والتقليد والعنف والغضب ؟ .. هذه الشريحة .. وهذا الفصيل من فصائل الحركة الإسلامية .. لماذا هذا الصعود بالنسبة له ؟ ..

أنا أدعوكم لتأمل دور العوامل الآتية :

- ١ - الهيمنة الغربية ، بعد المتغيرات الدولية التي حدثت .. لقد كشف الغرب عن أنفاسه وأظافره لكل عالم الجنوب . فلا تستغربوا إذا كشف البعض - وخصوصا في سن الشباب - عن الأنفاس والأظافر ! .. «القنفذ، إذا شكته» أظهر شوكه !؟ ..
- ٢ - اسألوا : لماذا لم يكن «سيد قطب» عيناً قبل المحنـة التي تعرض لها ؟ .. تعلمون دور النظم وقوتها في إيجاد هذا الأسلوب الذي يكفر المجتمع ويحكم عليه بالجاهلية ، ويرى العنف بدلاً وحيداً (\*)

(\*) رحم الله الأستاذ سيد قطب ١

لقد أبعد التجة في فريقان من الناس :

- فريق غالٍ في فهم آقواله فحرفها عن مواضعها وتأولها على غير وجهها ورتب عليها من الأحكام  
والنتائج ما لعله لم يخطر ببال صاحبها طرفة عين .

٣ - أسلوا عن إغلاق القنوات الشرعية أمام التيار الإسلامي ، تعلموا مسؤولية هذا الموقف عن اللجوء إلى القنوات غير الشرعية ..

٤ - أسلوا عن هذا الاستقطاب الحاد الذي يحدث في الموقف الداخلي .. الماركسيون الذين عاشوا طوال عمرهم ضد السلطة ، عندما لم يصبح لهم مشروع استئصالهم النظم الحاكمة ، فأصبحوا مثل « الطواشى والخصيان » في الحرير ، مؤتمنين ، لا خوف منهم !؟ .. ومن هنا ترون رموزهم في كل المجالات وفي كل النظم .. لماذا ؟ لقد أصبحت النظم تستثمر كفاءاتهم الفكرية ضد مشروع التغيير الوحدي القائم في الساحة - وأنا أقول : الوحدي - لماذا ؟

هؤلاء يذكروننا بالموقف الدولي - الروس الخارجيين أصبحوا في جيب الأميركيان الخارجيين .. و « الروس » الداخليين أصبحوا في جيب « الأميركيان » الداخليين !؟ .. إذن الموقف الداخلي متطرق مع الذي حدث في المتغيرات الدولية ! ..

\* \* \*

## هل هناك ما تخاطره غير الإسلام ؟

وأنا أقول : إن المشروع الوحدي القادر على تحريك هذه الأمة لتخريج من أزمتها هو

= - وفريق جفا عن هذه الأقوال فاطرها جميما : صوابها وخطاؤها وتبها جميما إلى ظروف الدهر والمحنة التي تعرض لها الأستاذ رحمة الله ا والقصد بين هؤلاء إن الأستاذ سيد داعية من دعوة أهل السنة المجاهدين لم يطلق في إيجياداته من أصول بدعة ولم يكن منه فيما يتباين من الأقوال إجراء الأحكام على آحاد الناس ، وإنما الدعوة إلى حقيقة الإسلام التي تكفل لأصحابها النجاة في الآخرة ، ولعل من أهم أسباب الخلل في توجيه مقولاته رحمة الله هو الخلط بين مقام الدعوة ومقام إجراء الأحكام .

نم هو بعد هذا كله بشر من البشر يخطئ ويصيّب ، وكل الناس تؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله

## مشروع الإسلام .. لماذا ؟

أنا أسأل : - حتى يمنطق «الحياد الإيماني» - يعني حتى بالنسبة لغير المؤمن ، الذي يريد لهذه الأمة أن تنهض .. أية أيديولوجية أقدر على تحريك هذه الأمة ؟ .. حتى غير المؤمن بالإسلام ، وبأنه دين ودولة ، وبأنه فريضة إلهية ، أعتقد أنه لا بد أن يدعو إليه كمشروع لنهضة هذه الأمة .

أنا اليوم ، لو كنت سائحا ، ودخلت «معرضا للأيديولوجيات» ! .. ماذا ساختار ؟ الليبرالية الرأسمالية التي عانينا منها قرنين من الزمان !؟ .. الماركسية التي سقطت !؟ .. هل هناك ما نختاره غير الإسلام !؟ ..

عندما تكون الأيديولوجية تؤمن بها الجماهير .. هل تكون أقدر على التغيير ؟؟ .. أم إذا كانت أيديولوجية قلة وصفوة ونخبة ؟!؟ ..

وعندما تكون الأيديولوجية مرتبطة بالقدس ، تصبح أقدر على التغيير ، وعلى تحريك الأمة من هذه الوهدة ؟؟ .. أم عندما تكون هذه الأيديولوجية محدودة الصلة - أو متعارضة - مع هذا القدس !؟.

عندما تكون هذه الأيديولوجية تمتلك ثراثا حضاريا وفكريا هائلا وغنيا .. تكون أقدر على التغيير ؟؟ .. أم عندما تكون مستوردة ، وأصحابها يُنظر إليهم على أنهم «نحواجات» ، فيعزلون ، فلا يكون لهم تأثير !؟.

حتى يمعايير «الحياد الإيماني» ، أي أيديولوجية أقدر على تحريك هذه الأمة من الأيديولوجية والفكرية الإسلامية ؟؟

وحتى لا أطيل عليكم .. سأقول لكم كلمة قالها الشيخ محمد عبده ، في هذا المعنى ، عندما كان يتكلّم عن مصر - كنموذج لهذه الأمة - قال عن التأثير بالأفكار

التي تأتي من الخارج .

« أهل مصر قوم أذكياء ، يغلب عليهم لين الطياع ، وامتداد القابلية للتأثير . لكنهم حفظوا القاعدة الطبيعية .. وهي : أن البذرة لتنجح في أرض إلا إذا كان مزاج البذرة مما يتغذى من عناصر الأرض ، ويتنفس بهوائها ، ولا ماتت البذرة بدون عيب على طبقة الأرض وجودتها ، ولا على البذرة وصحتها ، وإنما العيب على البادر نفسه » .

وتأملوا معى العبارة القادمة لمحمد عبده - في هذا السياق - :

« أنفس المصريين أثربت الانقياد إلى الدين ، حتى صار طبعاً فيها ، فكل من طلب إصلاحها من غير طريق الدين فقد بذر بذراً غير صالح للتربية التي أودعه فيها ، فلا يثبت ، ويضيع تعبه . وأكبر شاهد على ذلك ما شوهد من ثغر التربية التي يسمونها أدبية من عهد محمد علي إلى اليوم ، فإن المأخوذين بها لم يزدادوا إلا فساداً - وإن قيل إن لهم شيء من المعلومات - فما لم تكن معارفهم العامة وآدابهم مبنية على أصول دينهم فلا أثر لها في نفوسهم » ١١ . هـ .

وكلمة ثانية لجمال الدين الأفغاني يتحدث فيها عن تيار التغريب ، وكيف أنه « عمالة حضارية » .. « طابور خامس » .. وامتداد سرطانى في عقل الأمة ووحدانها - هذا ليس كلامي أنا - إنه كلام الأفغاني - الذي يقول :

« لقد علمتا التجارب أن المقلدين من كل أمة ، المتعلمين أطوار غيرها ، يكوتون فيها منافذ لتطرق الأعداء إليها ، وطلائع لجيوش الغالبيين وأرباب الغارات ، يمهدون لهم السبيل ، ويفتحون الأبواب ، ثم يثبتون أقدامهم » ١٢ . هـ .

\* \* \*

## تعالوا إلى كلمة سواء !!

سأختتم باقتراح «كلمة سواء» .. لأننا لو وقفنا عند الانقسام الذي نحن فيه ، فنحن نكرس الأزمة ..

نحن نريد أن ندعو مختلف الفرقاء في التبارات الفكرية في أمتنا إلى كلمة سواء :  
 أولاً : تحديد الخصوصية العربية الإسلامية .. معالجتها .. حدودها وأفاقها ..  
 وتحديد ما هو مشترك إنساني عام .

ثانياً : صياغة هذه الخصوصية في منهاج عام للفكر والحياة ، يعين على صياغة  
 المنهاج المتخصص في علومنا الإنسانية .

ثالثاً : الإبداع ، بواسطة هذه المنهاج ، لتجديد وإثراء هذه العلوم التي تمثل فيها  
 حضارتنا نهجاً متميزاً وإسهاماً على مستوى الفكر العالمي .

رابعاً : - وأخيراً - تحديد العلاقة بيننا وبين الآخر الحضاري - سواء أكان  
 الغربي أم غير الغربي من الحضارات الأخرى - وهذه العلاقة لا بد أن نرفض فيها :  
 أ - الانغلاق .. فانغلاق الحضارة على ذاتها لا بد أن يقودها إلى الذبول .

ب - ونرفض التبعية .. لأن التبعية ، والفكر الجاهز والنظريات الجاهزة تعطل  
 ملكرة الإبداع .. وإذا كنا فقراء في الإبداع - وهذه حقيقة - وأثرياء في التقليد -  
 وهذا مؤسف - فلن يكون هناك إبداع إلا لأصحاب النموذج الحضاري المميز .

كيف تبدع إذا لم تكون ابن حضارة مميزة ؟ .. إذا كنت مقلداً للشرق أو  
 للغرب فإن البضاعة جاهزة ومعلبة ومزينة .. وهذا هو الذي يعطل ملكرة الإبداع .. ولن  
 يجد إبداعاً حقيقياً إلا إذا كان لك نموذج حضاري وخصوصية مميزة ..

القضية ليست موقفنا من الغرب بل موقف الغرب منا !

والقضية ليست بالنسبة لنا موقفنا من الغرب ، بل موقف الغرب منا ! .. لأننا نريد أن نعيش ، لأن التعددية في الدين ، في الشائع ، في القوميات ، في الألسن ، في الحضارات سنة من سن الله في الكون « ولا يزالون مختلفين » [ هود : ١١٨ ] .. والمفسرون - لهذه الآية - يقولون : « وللخلاف خلقهم » .. [١٩]

إذن ، التعددية سنة .. قاتون من قوانين الله ، لا تبدل له ولا تغير . فنحن الذين نقف مع التعددية .. لكن الغرب الذي يريد أن تكون حضارته هي الحضارة العالمية .. ونحن نقول : العالمي لا بد أن يكون مشتركاً بين الحضارات المختلفة ، وليس نمطاً لحضارة واحدة تفرض على الآخرين .. فالقضية ليست موقفنا من الغرب ، بل موقف الغرب منا .

والقضية ليست الإنسان الغربي ، أو العلم الغربي .. ولكن «المشروع الغربي» ، الذي ينفي مثروعنا ، وينفي وجودنا ، وينفي ذاتينا .

الغرب يقاتلنا في الدين ويخرجنا من ديارنا حقيقة أو حكماً

الغرب : يقاتلنا في الدين .. ويخرجنا من ديارنا - إما حقيقة - كما في فلسطين (بالاستيطان) وفي البوسنة والهرسك - وإما حكماً - ، لأنك إذا فقدت أن تمتلك مقدرات وطنك ، فأنت قد أخرجت منه ، حتى ولو كنت تعيش فيه !

الغرب يقاتلنا في الدين ، ويخرجنا من ديارنا ، ويظاهر - في أوروبا - الآن على إخراج المسلمين من ديارهم . ويظاهر إسرائيل على أن تخرج الفلسطينيين من ديارهم .

إذن ، القضية ليست الإنسان الغربي ، ولا العلم الغربي .. ولكن «المشروع الغربي» ..

### استقروا بِرَحْمَكُمُ اللَّهُ

ونحن ندعوا إخواننا الذين لظروف كثيرة - قد لا يمتلكون مفاتيحها - تربوا ، وأصبح الغرب هو خيارهم الذي يقدمونه بدليلاً للختار الإسلامي . ندعوهم إلى كلمة سواء .. ونقول لهم :

نريدكم أن تستقيموا ، بِرَحْمَكُمُ اللَّهُ .. لا أن تستقبلوا بِرَحْمَكُمُ اللَّهُ؟! ..  
شكرا .. والسلام عليكم ورحمة الله ... [تصفيق] ...

### الاستاذ سعد الرميحي

شكرا للأستاذ الدكتور محمد عمارة ، على هذا الشرح الطيب ..  
والآن سيكون أمامنا عشر دقائق لكل ضيف لكي يعقب على حديث الآخر . نبدأ بالدكتور فؤاد زكريا ليعقب على كلام الدكتور عمارة فيفضل شكرنا .

## تعليق الدكتور فؤاد زكريا

### مهمة صعبة و موقف محير

في الواقع إن مهمتي صعبة ، لأنني لا أعرف موقعي فيما قاله الدكتور محمد عمارة . يعني أنا سمعت كثيراً تعبير : يقولون كذا ويتحدثون عن كذا ، ويفعلون كذا ! « واؤ » الجماعة هذه موجودة دائماً ، لم أعرف من هم الذين يقولون ويتحدثون ويتآثرون ! الخ .

وفيما يخصني بالذات ، إن كنت أنا واحداً ضمن « واؤ » الجماعة أم لا ؟ [تصفيق] ... وهذا يولد لدى موقعاً محيراً ، لكن ... [مقاطعة] ...

**الاستاذ سعد الرميحي** : الرجاء التزام الهدوء ...

**دكتور فؤاد زكريا :**

من هؤلاء الخصوم الذين يتحدث عنهم الدكتور عمارة !

لهذا السبب ، لا أجد أنني مضطراً إلى أن أرد ، لا بالنيابة عن نفسي ، لأنني كما قلت لا أعلم موقعي تماماً من هذا الحديث ، وإنما أرد بالنسبة لبعض الأفكار التي طرحت الآن ، وصدى هذه الأفكار لدى إنسان يفكر بالطريقة التي أفكر بها . يعني هو بشكل عام عندما تتحدث عن أزمة العقل العربي كنت أتصور هذا موضوع فيه قدر من التخصيص ، ونحن لا نتحدث عن المجتمعات العربية أو الأمة العربية كلها ، وإنما نتحدث من زاوية معينة ، طبعاً كل أزمة يشارك فيها العقل ، أي قضية ( سياسية ...

اقتصادية .. عسكرية) ، لكن للعقل دوره في كل هذه الأزمات . لكن عندما تخصص في عنوان الحاضرة «أزمة العقل العربي» فأنها حسب تفكيري ، هذا موضوع خاص لا يقتضي منها أن نطرح هموم الأمة العربية كلها ، ولا يحتم علينا أن نعود إلى ذلك الموضوع الذي يعني أصبح حملاً في الآونة الأخيرة ، وهو الصراع الدائم والحوار الدائم بين من يسمون بالعلمانيين ومن يسمون بالإسلاميين ، والتسفيتان معاً خطأ .

لذلك أنا أتمنى أن أعرف من هم هؤلاء الخصوم الذين يتحدث عنهم الصديق الدكتور محمد عمارة؟ .. لأنني أنا وجدت أنه قام بتفصيل - كما يفعل الترزي - وده من منطلق المودة - قام بتفصيل الخصوم على مقاس معين ، ثم بدأ يهاجمهم ، وله الحق ، إذا كان الخصوم بهذا الشكل فإنه أن يهاجمهم ، وأنا كمان لا بد أن أهاجمهم . طبعاً إذا كانوا بالمقاس الذي عرض ، أو اختاره الدكتور عمارة .

يعني دائماً لدينا تعبير : من يحاكون التمودج الغربي ، ومن يقتدون بالتمودج الغربي ، ومن يقلدون التمودج الغربي ، ومن يدعون إلى أن يقيموا حياتنا على أساس الغرب . أين هؤلاء؟ - إذا استثنينا سلامة موسى وشبل شميل - وهؤلاء كانوا يعيشون في ظروف معينة وفي فترة معينة ولهم وضعهم الخاص من نواحي كثيرة - ولكن ، إذا استعرضنا المسرح الفكري العربي ، قدموا لي نموذجاً واحداً لهؤلاء الذين سحقوا أنفسهم في التمودج الغربي ، كما يقول الزميل الدكتور عمارة ، أين هم؟ أنا لا أعرف هؤلاء الناس .

### مستحيل أن يدافع أحد عن الغرب بالمعنى المطلق

أنا أعرف ، من ضمن هؤلاء الذين يسمون العلمانيين - وأنا أصر على هذا التعبير ، ولكنه غير دقيق - من بينهم من حاربوا الغرب إلى حد أنهم ضحوا بحياتهم

في سبيل هذه الحرب ، ودخلوا السجون ، واستنهدوا في أحيان غير قليلة ، يعني المثقفين المحيطين بنا ، الذين ليسوا من القبار الإسلامي السياسي ، ليسوا أبداً منقادين للغرب كما يقال ، ولا يدعون أن نقلد النموذج الغربي ، ولا يهاجمون . وإنما شفت الحقيقة أشياء جعلتني أندesen ، مثلاً ، إن بعض الناس من هذا الفريق الآخر يحرم ليس المرأة إذا كانت محشمة ، من قال هذا ؟ جميع من يتحدثون في هذا الموضوع يبدون إحترامهم لإرادة أي امرأة تزيد أن تتحجب أو تتنبّه ، لكن المهم في الأمر ما (يقال) الهجوم الجارح على النمط الآخر من النساء ، لأن بينهن المحتشمات في حدودهن الخاصة ، وبينهم من تؤدي رسالتها في المجتمع على أكمل وجه ، ولكن لم أر شخصاً واحداً من هؤلاء يهاجم الحجاب لذاته أبداً . لأنه لو فعل ذلك كان متناقضاً مع نفسه ، وكيف تنادي بالحرية في جانب وتحرم مجموعة من الحرية في الجانب الآخر ، ولن يحدث ذلك <sup>(١)</sup> .

يحرمون اجتهاد المسلمين في الديموقراطية ، من قال هذا ؟ والمشهد الذي أراه

(١) يفضل الدكتور فؤاد زكريا في هذه الفقرة عالمتين على مقاس معين لا وجود له إلا في خياله الحصيف ليتنى له أن يدافع عنهم وأن يقدمهم في هذا الإطار الوديع الخالب !  
ترى أئم هؤلاء العالمتين (المطربين) الذين يحترمون حق المرأة المسلمة في ارتداء الحجاب ولا يشرون حوله ضجيجاً ولا جلبة ، ولا يطمعون في أكثر من عدم توجيه الهجوم الجارح على النمط الآخر من النساء ؟ ترى هل أئم نيا إيمانه من العالمتين وهي يشنون المذلة على الحجاب ويصفونه بأنه حجاب على العقل (١) وأنه ردة حضارية وعودة بالأمة إلى عصور الانحطاط (٢) ويسودون في ذلك الكتب والمقالات التي تنص بها الصحف القومية وغير القومية ؟

ترى هل أئم نيا فصل المذبذبات الحجبات أو متبعين من انظهور أمم الشاشة الصغيرة يقرر سبادى لا رجعة فيه . وأئم مسلسل الإيذاء الذي تعرض له المنشبات داخل ما سمي العرم الحامى وغيره من مؤسسات الدولة ومرافقها العامة تحت سمع وبصر دعاة الحرية والديمقراطية ؟

إن صور الكاريكاتير التي نشرت في الهجوم على لباس المرأة المسنة تكون وحدتها سفراً ضخماً يبلغ عدد صفحاته بضعة آلاف !!

فأي الظرفين قام بدور الترزي وابتكر المقامات واحتزاع الموديلات ؟ أحسوا يا أولى الألباب .

، أن هناك دعوة دائمة للاجتهد ، وكل فكرة جديدة تلقى ترحيباً كبيراً . انظروا إلى كتاب الشيخ محمد الغزالى الأخير ، وتررون كم من الكتاب الذين يوصفون أنهم علمانيون كتبوا عنه كلاماً رائعاً ، يمدحوه إلى أقصى حد . هؤلاء عندما يجدون بادرة يرجبون بها . ولذلك أنا أقول إن الدكتور محمد عمارة اخترع خصوماً ، يعني على مقاس خاص ، يسمح له بأن يسبّهم ضرباً ، وقد فعل . لكن إذا نأملنا المسرح المحيط بنا فلن نجد هؤلاء الخصوم . ترى الاستلاب الحضاري ، الانسحاق في الغرب ، نفس الكلمات مختارة لكي تولد الاحساس والنفور لدى الجمهور . أين هذه العملية هي أن هناك فئة في هذا المجتمع لا يجرؤون وراء الغرب ذاته ، لأننا نعلم الغرب هو مصدر الاستعمار الذي عانينا منه أمداً طويلاً . مستحبيل أحد أن يدافع عن الغرب بالمعنى المطلق ، ولكن إن التغيير الذي يحدث في العالم ، والتقدم الذي يفرض نفسه على الجميع يأتي من هناك ، وليس بالضرورة ، اليابان أصبحت نموذج ، واليابان في أقصى الشرق ، وما أكثر المعجبين باليابان الآن ، هل نسميه مستشرقين ؟ أو مستغربين مسحوقين في الشرق ؟ وهذا النموذج موجود ، وإذا حصل إن مثلاً كما يتوقع الكثيرون ، كوريا وتايوان وهوئي كروي وسنغافورة ، وربما الصين أيضاً ، أصبحوا في الصف الأول من التقدم في العالم ، سوف يعجب الكثيرون بنموذجهم ، دون تقليد أعمى ، لأن المعجب بهذا النموذج يريد أن تكون نحن أيضاً في الصف الأول .. وهذه نية طيبة ، وليس شيء يعاقب عليه الإنسان . نفرض أن هذا حدث ، وما يتوقعه الكثيرون ، ماذا سنقول عن عملية الانسحاق في الغرب والاستلاب في الغرب .. و .. و .. إن ..

المسألة أن هناك من يبحثون عن مصادر التقدم ، ويدعون مجتمعاتنا إلى الأخذ بهذه الأسباب ، وهذه ليست جريمة ، وليس انسحاق . وكذلك كتب هذا التشبيه ، وللأسف لم يلفت نظر الكثيرين ، لأن المجال الذي كتب فيه لم يكن واسع الإنتشار .

## مثل من الأندلس ١

تخيلوا أن هناك راهباً أسبانياً ، في عصر فتح الأندلس ، في عصر وجود العرب في الأندلس ، وهو عصر يتفق جميع المؤرخين المنصفين على أنه كان عصر ازدهار ، تعلم منه الكثير واقتبس منه على أنه أحد العوامل الهامة التي ولدت ما يطلق عليه اسم النهضة الأوروبية الحديثة . تخيلوا هذا الراهب الأسباني قال : كيف نقلد هؤلاء العرب الذين دخلوا إلينا غراء ؟ والذين يدينون بدين غير ديننا ؟ وكيف تستلب في أفكارهم ومعتقداتهم وعلومهم وفي آدابهم ؟ هذا كفر ، وهذا مروق ، وهذا خروج عن الدين .. و .. الخ ..

تخيلوا أن هذا الراهب مع شعبه من أن يحثك بالأخذ العناصر الإيجابية العظيمة الموجودة في الحضارة الواقفة . ماذا كان سيحدث لهؤلاء الناس ، لو كانت هذه هي القاعدة ؟ ثم من جهة ، لماذا نفخر نحن في كل أمر بأننا أثروا على أوروبا في كلها وكندا عندما كنا أقوباءً معنوياً ومادياً ؟ ولماذا نأتي اليوم ونسمى هذا التأثير بالاستلاب والمتغرين ؟ .. لماذا ؟ ..

أنا أقول إن التمط الذي تحدث عنه الرميل محمد عمارة ليس موجوداً الآن . ولكن في الحقيقة ، في أوائل سنة ١٩٢٠ م كان موجود هذا التمط ، ولكن في هذه اللحظة من تاريخنا لا يوجد هذا النوع ، وكل ، إنسان يدعو إلى الاقتداء بالنموذج الغربي يعرف حدوده ، ويؤكد هذه الحدود ويعرف جداً مساوى الغرب ، ومن خلال معرفتنا بمساوي الغرب . يجب أن نعرف مساوى الغرب .

والحديث الزائد عن الاستعمار ، وما فعله ، وكيف أنه أدى إلى تدهورنا ، هذا حديث يجب أن نحفظ فيه كثيراً . معظم البلاد الإسلامية خرجت من تحت الاستعمار .

وأكفي بهذا الآن . الرئيس يطالبني بالوقت . وشكرا ... [تصنيف] ...

\* \* \*

الامتداد سعد الرميحي

كل واحد له أن يكتب سؤالا على ورقة واحدة .  
فليفضل الدكتور محمد عمارة ليرد على الدكتور فؤاد زكريا .

### تعقيب الدكتور محمد عمارة

أعبر عن سعادتي أن الدكتور فؤاد أخرج نفسه من واو الجماعة !!  
إنتي أعبر عن سعادتي البالغة أن الدكتور فؤاد زكريا ثبراً من أن يكون ضمن «واو»  
الجماعة ... [تصنيف] ...  
إنتي لم أفصل - تفصيل الترزاية - وإنني لم أذكر الأسماء - إلا إذا اضطررت إلى ذلك ...

من يتحدثون عن الحضارة الغربية باعتبارها الحضارة الإنسانية العالمية لأننا أسهمنا  
فيها كثيرا ! وينكرون خصوصية الحضارة الإسلامية ! .. أليس لدينا من ينكر أن يكون  
الإسلام مرجعا للنهضة الحضارية ؟  
هل هذا افتراء ؟

حضارات آسيا حضارات محلية ، وليس عالمية .. يمكن أن نقلد في الصناعة ..

\* أليس في حياتنا اليوم من يتحدثون عن غموض الحل والطريق الإسلامي ؟  
 \* أليس في حياتنا من يقولون إن ٩٩٪ من التاريخ الإسلامي ظلام ؟  
 \* أليس بينما اليوم من يقول إن النص الديني الإسلامي لم يطبق في تاريخنا ..  
 وإذا كان لم يطبق في التاريخ فكيف تريدون تطبيقه في المستقبل ؟  
 والتثوير .. ذكرت لكم أنهم اليوم يرونه ، فقط في طه حسين عندما أخطأ ..  
 عندما شكلك في القرآن الكريم ! .. عندما قال : إن العقل الإسلامي يوناني إغريقي ،  
 لم يغير القرآن من يونانيته ، كما لم يغير الإنجيل من يونانية العقل الأوروبي ، لأن القرآن  
 جاء مصدقاً للإنجيل ؟ .. أليس بينما اليوم من يعتبر هذا هو التثوير .. بل ولا يعتقد  
 بتراجع طه حسين عن هذا الرأي ، عندما سئل - في ١ مارس سنة ١٩٧١ م عن  
 كتابه [مستقبل الفقافة في مصر] - الذي قال فيه هذا الكلام - فأجاب :  
 «ده كتاب قدم قوي .. لقد كتبته سنة ١٩٣٦ م .. ولازم أرجع له وأعدل فيه  
 وأغير أشياء كثيرة» أليس بينما تيار يرى هذا تثويراً ؟  
 نحن الذين نصف رموزنا وعلماءنا .. لا الذين يأخذون الموقف الأول - الذي  
 يجاوره صاحبه - باعتباره هو التثوير ! ..  
 إذا كان لا يرى التمودج الغربي مرجعية لنهضتنا فما هي المرجعية ؟  
 ثم إنه إذا كان الدكتور فؤاد زكريا لا يدعو لتقليل الغرب .. وإذا كان لا يرى  
 التمودج الغربي مرجعية لنهضتنا .. فما هي المرجعية ؟؟ [تصفيق] .. هل الموضعية  
 الغربية هي المرجعية ؟ ماهي المرجعية ؟ .. لا أظن أن أحداً سيختار اليهودية ! .. لا أظن  
 أن أحداً سيختار التثليث ؟ .. هل عندنا غير الإسلام ؟؟ لا بد أن تتفق على  
 المرجعية .. ثم نشارك في الاجتهداد في الفروع ..

الم يكتبوا أن الحجاب ردة حضارية واكتتاب ١٩

موضوع زي المرأة .. عظيم أن يقول الدكتور فؤاد : «مفيش حد قال» ...

لكن .. ألم تكتب الكتب والمقالات عن أن «الحجاب : حجاب على العقل» ١٩ .. و«الحجاب : ردة حضارية» ١٩ .. و«الحجاب : اكتتاب» ١٩

ألم يكتب حسين أحمد أمين في صحيفة [الأهالي] يدعو إلى انعقاد «برلان» يمثل الأمة ليبحث أخطر المشكلات .. ومنها : «أن نسل المحجبات ضعيف» ٢٠ ... ٢١

[ضحك من القاعة] ...

ولقد تساءلت يومها - وأنا فلاح - وأمهاتنا جميعهن محجبات - فقلت : وهل كانت السيدة زوجة المرحوم الدكتور أحمد أمين تلبس «مني جيب»؟ لا يمكن .. فلئن الضعف في نسل المحجبات ١٩ .. هل هذا الكلام عن الحجاب لم يقله أحد؟ ٢٢

من ذا الذي نسي أن الديموقراطية في الجزائر صناعة إسلامية؟

والاجتهد في الديموقراطية .. من الذي جاء بالديمقراطية إلى الجزائر؟ ٢٣ .. أليس الإسلاميون - في الجزائر - هم الذين جاءوا للجزائر بالديمقراطية ، وبالتعدديـة .. وبدمائهم في أحداث أكتوبر سنة ١٩٨٨ م؟

فإذا جاء خطيب مغمور - في مسجد غير ملحوظ - وهو مفصل من جبهة الإنقاذ - فقال إن الديموقراطية كفر .. عندما يحدث ذلك .. من الذي نسي أن الديمقراطية في الجزائر هي صناعة إسلامية .. وتذكر فقط - بل وجعل من كلمة هذا الخطيب المغمور ، المفصل من الجبهة - «ما نشأت» الصحفة العالمية ١٩ هذه حقائق؟ .. أم اختراعات .. وتفصيل نزية؟ ٢٤ ..

ألم يروا في كلمة هذا الخطيب المجهول « إجتهادا فيما لا يجوز الاجتهد فيه؟! »  
نريد أن نتفتح على الدنيا لكن مع الاحتفاظ بهويتنا  
موضوع أن الغرب تأثر بحضارتنا الإسلامية .. فلماذا نعتبر نحن التأثر بالحضارة  
الغربية عينا ، على حين نفخر بأن الغرب تأثر بنا ؟

أنا لي كتاب كامل في هذا الموضوع - اسمه [ الغزو الفكري وهم ؟ أم  
حقيقة ؟ ] .. هناك فارق بين ما هو «مشترك إنساني عام » .. وبين «الخصوصيات  
الحضارية » .. أنا عندما أكون عالما في التربية الزراعية ، إذا حللت التربية الزراعية في  
لندن .. في باريس .. في تل أبيب .. وكان القائم بالتجربة : مسلما .. أو يهوديا .. أو  
بروسيا .. فإن حقائق وقوانين التجربة العملية لا تتغير ... ولكن عندما أنكلم في التجربة  
الشعرية ، فإنها لن تكرر ! .. بل إنها لا تذكر عند الشاعر الواحد مرتين !

العلوم الإنسانية شيء .. والعلوم الطبيعية المعايدة شيء آخر .. في العلوم الطبيعية  
لاتتغير الحقائق بتغيير عقائد وثقافات وحضارات الناظرين ... وفيها يجب أن نتلمذ  
على الغرب ، وبأمانة وإخلاص .. أما العلوم الإنسانية فهي «البصمة الحضارية» .. نريد  
أن نصافح كل الدنيا دون أن نتنازل عن « بصمتنا » .. نحن انتفتحنا على الهند ، إبان  
نهضتنا الإسلامية .. لكن ، لماذا أخذنا حساب الهند وفلك الهند ، ولم نأخذ فلسفة  
الهند ؟ .. انتفتحنا على الرومان ، وأخذنا نظام تدوين الدوافين ، ولم نأخذ القانون  
الروماني .. انتفتحنا على الفرس ، لكن لماذا أخذنا « الترايتب الإدارية » ، ولم نأخذ مذاهب  
الفرس ؟

أوروبا انتفتحت علينا . إبان نهضتها ، لكن ، لماذا أخذت كل ما لدينا من العلوم  
المادية دون علوم المرجعية الإسلامية المتميزة ؟ .. هل أخذت عنا إنسانياتنا ؟ .. حتى

ابن رشد ، أخذوا منه ابن رشد الشارح لأرسطو .. ورفضوا ابن رشد المسلم ، المالكي ، القاضي ، المتكلم ... أخذوا المنهج التجريبي ، والعلوم الطبيعية ، لكن الإنسانيات لم يأخذوها ..

نحن نريد أن نفتح على الدنيا ، لكن مع الاحتفاظ بهويتنا ... من الذي يقول إننا لا نريد أن تتأثر بالغرب .. ليس تأثر فقط .. بل تتلمس عليه ! .. لكن في أي نطاق ؟ وما هي الخصوصية ؟ .. نحدد نطاق الخصوصية الحضارية ، ودور المرجعية الإسلامية في تحديد هذه الخصوصية .. ونطاق المشترك الإنساني العام - وهذه مواطن اجتهادات لتيارات الفكر في بلادنا - ..

### من قال إن مقاليدنا أصبحت في أيدينا ؟

النقطة الأخيرة التي أختلف فيها مع الدكتور فؤاد زكريا ، هي « أن مقاليدنا أصبحت في أيدينا » .. من قال هذا يا دكتور ؟؟ .. [تصفيق] ...

أنا لي وجهة نظر .. إن الصراعات الداخلية في آية أمّة من الأم أمر طبيعي .. لكنها تخل وفق قوانين وموازين الصراعات الداخلية ، ولحساب الأطراف الداخلية ، فإذا لم يكن هناك الطامع المتربص على الأبواب .. لأن العدو إما أنه يصنع الصراعات الداخلية ، ليخترقنا من خلالها .. أو أنه يحافظ عليها ، لتظل ثغرات مفتوحة للإخترق ! ..

كان يحافظ على مرض «دولة الرجل المريض» وعندما جاء محمد علي ليجدد شباب هذه الدولة ، وليس الثغرات ، ضربوه !؟ .. وكان يحافظ على استبداد الخديوي في مصر .. وعندما جاءت الثورة العربية ، لتسد هذه الثغرة - التي يتسلل منها العدو - تسدها بالديمقراطية والحربيات ، ضربها !؟ .. وكان يحافظ على الانقسام بين القوميين العرب وبين الإسلاميين .. يضرب السلطان بمحمد علي ، ويضرب محمد علي

ب السلطان !؟ .. يضرب الشريف حسين بالسلطان ، ويضرب السلطان بالشريف حسين !؟ .. فالعدو الخارجي ، إما أنه يصنع هذه التغرات ، أو يحافظ عليها ، وينميها ..

طبعي أن تكون لنا مشاكلنا الداخلية .. لكن الكثير من أمراضنا إما أنها صناعة خارجية ، إما أنها محروسة من الخارج ! .. كلكم تعلمون ، من الذي صنع النظام العراقي ؟ من الذي صنعه صنعوا ؟ وجاء به إلى السلطة ؟ وموله ؟ واستخدمه في حرب الخليج الأولى ؟ وأوقعه في حرب الخليج الثانية ؟ ..

أين هي مقاليدنا التي في أيدينا !؟ .. لقد أغروا من ذم السبعينيات بالاقتراض والاستدانة ، ولفت الأسلام والجاذير على أعناقنا ، وأصبحنا لا نكاد نخدم على فوائد الدين ! .. من الذي صنع هذا !؟ من الذي أغري الكثرين من حكامنا بـ ٧٤٠ عمولات من القروض !؟ .. نحن ؟ .. الشعب ؟ .. أنا ؟ .. أو الدكتور فؤاد !؟ .. من الذي صنع هذا !؟ ..

أنا قرأت كتاباً من أكثر من ٩٠٠ صفحة .. كل هيئات التنصير عقدت مؤتمراً في « كولورادو » .. بأمريكا سنة ١٩٧٨ م ، لتنصير كل العالم الإسلامي .. بمخطط جديد ، وذلك باختراق الإسلام من داخل الإسلام .. التنصير من خلال القرآن .. من خلال الثقافة الإسلامية .. بالاعتماد المتبادل مع الكائنات المخلية .. التنصير من خلال العمالقة المدنية .. التنصير من خلال الجاليات المهاجرة .. من الذي يخطط لهذا ؟ .. من الذي يكتب في الاستراتيجية لكي يسيطر علينا .. وفي الدين ليسيطر علينا ؟ ..

أنا أقول ، ياليت مقاليدنا كانت بأيدينا .. كنا نعف أنفسنا ، ونشفي من هذه الأمراض .. إنما القضية ، كما نلمسها جميعاً ، ليست كذلك ..

مرة أخرى ، أقول : أنا سعيد سعادة بالغة أن الدكتور فؤاد زكريا أخرج نفسه من دوادو الجماعة .. وأدعوه ليضع يده في يدنا ضد هذه الجماعات ! .. وشكرا .  
[ تصفيق حاد ] ...

الاستاذ سعد الرميحي :

شكرا للأستاذ الدكتور محمد عمارة ، ونحن ، بهذه الكلمة ،  
المفروض أن نأتي لخاتم هذه الندوة ، ونبدا في طرح الأسئلة . ولكن ،  
أنا شايف الدكتور فؤاد زكريا يريد أن يعلق على كلام الدكتور عمارة ،  
ولو في كلمة صغيرة ، ونسمح للطرفين كل واحد ٣ دقائق فقط ..  
رجالى الالتزام بالوقت ..

### تعليق الدكتور فؤاد زكريا

هذا حق مشروع ، لأن آخر كلمة كانت للدكتور عمارة ، وفيها الكثير مما  
يمكن أن يعلق عليه . يعني فيما يتعلق بأن الدكتور زكريا أخرج نفسه ، هذا تعبير  
يوحى بأنه كان منهم ثم أخرج نفسه ! ، فهو تعبير صريح بذلكاء شديد أحسد عليه  
الدكتور عمارة ، ظاهره يوحى بأنه يعتقدني ، ولكنه في حقيقته ينطوي على قدر كبير  
من الخطورة . هذه نقطة .

أنا أريد أن أتكلم عن نفسي ، فلقد كنت على ذلك دائمًا منذ بداية الأمر ، والله  
الحمد كتاباتي موجودة ، وأقوالي موجودة .

ومسألة مواجهة الغرب ، وإدراك خصوصيتنا الثقافية - هذه من العناصر الأساسية

التي بنينا عليها تكويننا الفكري ، أنا وجيل كامل أنتهى إليه والذي يهاجم الآن في هذه المخالفة .

مسألة إتنا تأثر بالغرب وترك الإنسانيات .. الغرب ترك جوانب من التأثير الثقافي العربي في الأندلس ، وأخذ بجوانب أخرى .. حتى الشعر العربي تأثر بالشعر العربي في ذلك الحين ، والعلوم الإنسانية ، كان هناك تأثير عربي شامل ، حتى في أداب المحادنة وغيرها من مظاهر الحضارة . في ذلك الحين كان التأثير العربي برقة على الغرب ، ويجب أن ندرك أن التمازج الحضاري باستمرار برقة على المجتمعات البشرية كلها ، بشرط أن لا يصل إلى مرحلة القضاء على شخصية المجتمع .

مسألة الاعتراض على مقوله « إن مقاليدنا أصبحت بأيدينا » .. وضرب المثل بصدام حسين - وهذا مثل مهم جدا - أريد أن أقول : إن أكبر كارثتين حلتا بالعالم العربي ، وأرجعنا العالم عشرات السنين إلى الوراء وهي كارثة سنة ١٩٦٧ م . وغزو الكويت سنة ١٩٩٠ م .. هذان أخطر حدثين حدثوا في العالم العربي ، وعلى أن تأثيرهم علينا كان واضحـا . وأنا أزعم أنهم ، بالرغم من تدخل الغرب ومؤامرات الغرب - وهذه حقيقة .. دى شغلتهم وسياستهم - وهذا لم يحدث إذا اتبعنا سياسة أحسن . لأنـة لم يكن عبد الناصر في سنة ١٩٦٧ م أن يفعل الشيء الذي ظلت مجتمعة الأمريكيةـان تحركـه لكي يفعلـه ، ولم يكن صدام في سنة ١٩٩٠ م مضطراً إلى أن يفعلـ ما دفعـ إلى فعلـه . نحن تركـ مقالـيد الحكم في أيديـ حكامـ لـكي يـحمـونـا ولـكي يـفكـرواـ ألفـ مرـة قبلـ أن يـتـخدـواـ أيـ خطـوةـ ، وـيـمـكـانـهمـ أنـ يتـصرـفـواـ بشـكـلـ أـحـسـنـ ، وـيـجـبـونـاـ هـاتـينـ الكـارـثـيـنـ . وـشكـراـ .

شكرا للأستاذ الدكتور فؤاد زكريا والآن الكلمة للدكتور محمد عماره

### تعقيب الدكتور محمد عماره

سعادي لم تتغير . وأنا استدرك علي كلمة الدكتور فؤاد زكريا ، وهو يتكلم ويقول إن العالمانيين فيهم أناس وطنيون ، ودخلوا السجون . وأنا قلت قبل ذلك ، إن هناك علمانيين وطنيين وقوميين يمكن الحوار معهم ، وهناك فارق بين عالمانية تريد أن تفهم وتتفهم .. وبين الغلو العالمي ، الذي يضرب في الأصول ، في الدين نفسه .. وليس إجهاضا في الفروع .

أما أن الغرب لم يأخذ عنا فقط العلوم الطبيعية .. فانا اختلف مع الدكتور فؤاد في ذلك .. الغرب - وهذه قصة طويلة - ولذلك سأضرب عليها مثلا واحدا - عندما أخذوا ابن رشد ، فصلوا بينه كثيرون لأرسطو - وهذا القسم أخذوه - وبين ابن رشد المسلم - وهم إلى الآن يحررونه في اللوحات المعلقة في الكنائس والكاتدرائيات ! .. لقد أخذوا طب ابن سينا ، ورفضوا فلسفته الشرقية ! .. وتلك قصة تحتاج إلى كلام كثير .

النقطة الأخيرة : حكامنا ... يقول الدكتور فؤاد : « إحنا كان يمكن أن نتخد  
سياسة حكيمة » .. « إحنا مين ؟ هل تحسب علينا هؤلاء الحكماء ؟ .. يعني واحد مثل صدام حسين لا يمكن يحسب علينا نحن ! هل الشعب العراقي هو المسئول عنه ؟ .. قد يقول البعض منكم : إن الشعب العراقي يؤيده ! .. لماذا ؟ .. لأن البديل المطروح أسوأ من صدام ! .. نحن أيدينا المعاليك .. لماذا ؟ لأن وجودنا كان مهددا من

الخارج ! .. أيدنا حكم «العطلات» وليس «العقل» ، لأن الوجود نفسه كان مهددا .. ففرض علينا ذلك ، ولم نختره ، عندما هدد التيار والصلبيون وجودنا ذاته ! .. لأن البديل المطروح من الخارج أسوأ من نظام صدام .. والشعب العراقي يعرف ذلك .

إذن ، لا بد أن نبحث عن العامل الخارجي ، لا لتفادي أنفسنا من المسؤولية ، وإنما لتثير لأنفسنا الطريق ، ونعرف ما هو التناقض الرئيسي ؟ وما هي التناقضات الثانوية ؟ وما هو العدو الأساسي ؟ وما هي التوابع ؟ وإذا حللنا العقدة الأولى والرئيسية في السلسلة نؤثر في بقية الحلقات . وبشكلها .

### الأستاذ سعد الرميحي :

شكرا للأستاذ الدكتور محمد عمارة وشكرا للأستاذ الدكتور فؤاد زكريا .. والأآن نطرح الأسئلة التي وردت . سؤال إلى الأستاذ الدكتور محمد عمارة :

### مناقشات وتعقيبات

س : كيف ترى وتفهم موقف الجماعات والتيارات الإسلامية من خلال أزمة الخليج ؟

ج : دكتور محمد عمارة :

- أولا : أنا أقيم موقف الجماعات الإسلامية من خارجها ، وليس لي علاقات بالتنظيمات .. وأقول : إن أزمة الخليج كانت فتنة في الواقع وفي العقل . واحتلت فيها كل تيارات الفكر .. اختلف الماركسيون .. واحتلّ القوميون .. واحتلّ الإسلاميون . وأن الأوان ليجلس كل الفرقاء لدراسة هذه الأزمة ، ولبيحددوا الأنصبة لكل طرف من الأطراف . فإذا نحن سلطنا الضوء الحقيقي على الفاعل الأصلي فلن

نختلف على من تحرك على الطاولة ! .. لقد اختلفنا لأننا ورقنا عند الذين حرّكوا على  
المائدة ! ولو رأينا الخيوط التي تحرّك من تحرّك ، لما اختلفنا هذا الاختلاف !

الأستاذ سعد الربيعي : والآن سؤال للدكتور زكرياء ، يقول :

س : « كيف يجتمع في نفسك النموذج الغربي والنماذج  
الإسلامي ؟ أليس هذا ازدواجاً ؟ »  
ج : دكتور فؤاد زكرياء : -

في نفس مين ؟ ! . أنا أريد أن أقول إن هذا الاجتماع موجود في مجتمعاتنا  
بشكل تلقائي ، ولا يستطيع أحد أن يصف أي مجتمع إسلامي الآن بأنه مجتمع  
إسلامي صرف خال من المؤثرات الغربية ، حتى اللغة التي تستخدمها في حوارنا يدخل  
فيها عدد كبير من المفاهيم والمصطلحات ومن التعبيرات التي لو لا أن هناك كتابات  
متعلقة بالثقافات الغربية لما دخلت إلى هذه اللغات ، ولا أريد أن أتحدث عن الطريقة  
التي نسلك بها أو نتحدث بها أو التي نأكل بها . المواصلات ، والأدوات المكتبية ،  
أدوات الاتصال عن بعد ... إلخ .. هذه كلها أمور تدخل في صميم حياتنا  
الإسلامية . ومن يوجهون مثل هذا السؤال إلي في سنة ١٩٧٩ م ، عندما انتصر  
الخميني في ثورته الإسلامية في إيران ، كتبت الصحافة العالمية تقول : لقد كانت هذه  
ثورة الكاسيات . فأخذت أدلة تكنولوجية غربية من أجل تحقيق النصر لثورة إسلامية .  
بهذا الشكل تعايش الجانبان ، جانب علمي وتكنولوجي وجانب روحي في عقل  
ونفس من أكبر ممثلين التيار الإسلامي في عالمنا المعاصر . ومثل هذه المعايشة ليست

مستحبة .. وهذا هو أمر واضح في عالمنا الإسلامي الحديث .<sup>(١)</sup>

### الأستاذ سعد الرميحي :

شكرا للأستاذ الدكتور فؤاد . والسؤال إلى الأستاذ الدكتور محمد

عمارة :

س : « يتحدث أصحاب الإسلام السياسي عن الديموقراطية في الجزائر ، ولم نسمع منهم صوتا واحدا على الإنقلاب على الديموقراطية في السودان ؟ وقامت به فصيلة من فصائل الإسلام السياسي ، وهو جبهة الترابي . فما رأيكم في الانتقاء ، والنظر بعين واحدة ؟ »

ج : دكتور محمد عمارة : لي ملاحظات وانتقادات على ما هو حادث الآن في السودان .. مع تأييدي الشديد للدور البطولي الذي يقوم به الشعب السوداني بقيادة النظام الحالي .. [تصفيق] ... ضد الصهيونية العالمية ، التي تريد إغلاق أفريقيا وباباً

---

(١) لا يتصور عاقل أن يكون مثل هذا التأثير المتبادل في بعض وسائل التقنية موضوعا لتنازل أو اعتراض .

ولكن السؤال يتجه - بطبيعة الحال - إلى بعد الأيديولوجي في كلا النموذجين إن النموذج الإسلامي يقوم على مرجعية الشريعة وحاكمية الوحي عند التنازع ، وجماعه في باب الحكم حرامة الدين وسياسة الدنيا به .

أما النموذج الغربي فإنه يقوم على الكفر بمرجعية الشريعة في علاقة الدين بالدولة ونقل مصدرية الأحكام ابتداء من الوحي إلى المقل الحض ، ويجعل من المصلحة البحتة كما تتخيلها الأهواء البشرية المتصارعة مصدرا للحجية ومعيارا للمشروعية .

هذا هو مقدمة التفرقة بين النموذجين ، وللتي مثل هذا التقابل بتوجه السؤال ، وحول هذا التناقض يدور المترنح السياسي والفكري في واقعنا المعاصر .

فهميش المسألة على التحوير الوارد في الإجابة والاحتاج بقيام الثورة الإبرانية على الكاكيت كدليل على التنازع بين النموذجين نوع من المغالطات المكررة !

أفريقيا أمام العروبة والإسلام عن طريق جنوب السودان .

وأنا ححدث مع الأستاذ الترابي مرة - وكما معا في الجزائر - وقلت له : لماذا أعدتم الذين قاموا بمحاولة انقلاب دون محاكمة واضحة ؟ صحيح القائمون بانقلاب ، وبكل المقاييس ، سوف يحكم عليهم .. لكن لا بد من احترام حقوق الإنسان في المحاكمة العادلة ..

أنا لي ملاحظات .. وأرى دعم النظام في السودان ، فهذا هو السبيل إلى تطويره . والسودان الآن لديه تجربة لا نستطيع أن نحكم عليها الآن ، لأن آفاق هذه التجربة - ولها اتجهادات - لم تبلغها بعد .. وأنتم تعرفون الترابي ، رجل مجتهد حتى في الأصول - أصول الفقه وليس أصول الدين بالطبع - وليس في الفروع فقط .. عندهم اتجهادات في السياسة .. والتنظيمات الشعبية .. والتعميل الشعبي .. فنحن ننتظر ونأمل من الله سبحانه أن يوفق هذه التجربة .

### الأستاذ سعد الرمحي :

شكرا للدكتور عمارة . والسؤال للدكتور فؤاد :

مر : هل تعتقد أن تطبيق الشريعة الإسلامية يعرق القدم ومساوية العصر ؟

جـ : دكتور فؤاد زكرها : هذا في الواقع سؤال تفوته كل التفاصيل التي حاولنا أن نوضحها في هذه المخاضرة وفي مناسبات سابقة عديدة . لأن القضية ليست تطبيق الشريعة الإسلامية أو عدم تطبيقها ، ولكن القضية في مدى الاجتهد الذي يبذل من أجل إقامة نظام قادر على أن يكون له مكان ، له مواصفات العالم المعاصر الذي نعيش فيه . هذه هي القضية ، ونحن جميعاً أنساً مهمومون بهموم أمتنا ، هذه حقيقة ،

لا أحد يرضيه التردي الذي أزلقنا إليه . ولو قدم إلينا مثلاً تيار إسلامي ي برنامجاً كفياً  
بأن يجعل الأمة قادرة على أن تحتل مكانة رفيعة في عالم الغد ، ي برنامج متكملاً ، يرد  
على أهم الأسئلة التي نطرح على الإنسان المعاصر ، وضمن لنا ، أو على الأقل قدّم  
إلينا ما يبشر بالأمل في تجاه مثلك هذا البرنامج ، وتحقيق التقدم للمجتمع ، سنكون  
نحن أول المصفقين . لأن القضية قضية مشاكل قبل كل شيء . ومن يقدر على حل  
كل هذه المشاكل لا بد أن يلقى الترحيب من الجميع ، ولكنني أقول إن هذا لم يقدم  
حتى الآن ، ويدو أنه بعيد أن يتحقق حتى اللحظة الراهنة . وإنما لست متفقاً مع الأخ  
الدكتور محمد عمارة في أنه ما تزدهر من اجتهدات قد تتحقق ، ولكن هناك اجتهدات ،  
لا أحد يذكر ذلك ، وهل هي كافية ؟ مازالت بعيدة كل البعد عما يمكن أن يتحقق  
لهذه الأمة المكانة اللاحقة بها في العالم الذي نحن مقبلين على مواجهته . حين يظهر  
هذا ، وهذه الكلمة مني ، سنكون أول المصفقين <sup>(١)</sup> .

**الأستاذ سعد الرميحي**

### **شكراً للأستاذ فؤاد . والسؤال للدكتور محمد عمارة :**

(١) [ القضية قضية مشاكل قبل كل شيء ، ومن يقدر على حلها يلقى الترحيب من الجميع ]  
هذه خلاصة الأمر كما يصوّره الدكتور فؤاد زكريا ، وبهذا يستوي لديه الحل الإسلامي أو الشيعي  
أو اليسري أو البوذى أو الهندوسى !! فإن معيار المفضلة الأرجح هو القدرة على حل المشاكل . لا  
فضل لإيمان على كفر ولا لتجدد على شرك إلا باستيعاب المشاكل واتقادرة على حلها !!  
فليس الأمر عودية لله أو طبا لمرضاته أو اختياراً إيمانياً لهجره بل المعيار النفعي المادي المجرد !!  
ولذلك ينذر نفسه ومدرسته ما شاء في إطار العالمانية التي نذر حياته لنصرتها ، ولكن هذا شيء  
والدين الذي تعبد الله به عباده المسلمين شيء آخر . إن القبول العالمي بتطبيق الشريعة والذي يستند  
إلى معتقدات نفعية يحده على هذا التصور لا تبرأ به ذمة ، ولا يقام به دين ، ولا يرفعه الله فوق رأس  
صاحب شيرا واحداً ، فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما قصد به وجهه وحده وكان مؤسساً على  
قاعدة العروبة والقبول الاختياري لماً التكليف الذي هو إخراج المخالف عن داعية هواه حتى يكون  
عبدًا لمولاه .

من : «أستغرب من قول الدكتور عمارة : إن الصراع الفكري بين علمانيين ولסביدين ، الصراع في الواقع الحالي بين التيارات الإسلامية نفسها . وقد كتب الدكتور عمارة كتاباً حول ذلك ، وهو [اليمين واليسار في الإسلام] نهل حديث اليوم مغایر لفكرة الذي تعلمته في ذلك الكتاب ؟»<sup>٤٩</sup> ج : دكتور محمد عمارة : الدكتور فؤاد يقول إبني قلت إن الاجتهدات الإسلامية تحت بالعكس ، أنا قلت إن هناك عشرات القضايا تحتاج إلى اجتهد .. ولكن فيه إجتهدات تمت وتم .. لقد اتفقنا الآن على أن هناك إجتهدات تمت .. وعلى أننا نحتاج إلى مزيد من الاجتهدات ..

**النقطة الثانية :** أحيى - تحية حارة - الدكتور فؤاد واجبته على هذا السؤال الذي وجه إليه .. و قوله إنه لو قدم من التيار الإسلامي حل يواجه كل مشاكلنا لكان هو أول المصفقين .. وأقول إن هذا موقف شجاع أحبيه <sup>(٥٠)</sup> ... [تصفيق] ...  
وأما السؤال الذي وجه إلي فيبدو أن هناك خطأ من السائل .. فأنا لست صاحب كتاب [اليمين واليسار في الإسلام] .. وصاحبها هو الأستاذ أحمد عباس صالح .. وبالتالي يبدو أن هناك خطأ لدى صاحب السؤال . وشكرا .

(\*) لا يخفى أن التصفيق العلائى لتطبيق الشريعة على النحو الذى يناور به الدكتور فؤاد زكريا والمذى يعتمد على مجرد المصلحة لا تبرأ به ذمة ولا تحقق به بخالة ولا يرفعه الله فوق رأس صاحبه شرعا واحدا .

إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان إيماناً لنهجه ووفاءً لعهده لوجهه . ولو أن دولة أوربية طبقت أحكام الشريعة في باب المعاملات مثلاً لما رأى من كفالتها بالمصالح أصبحت بذلك دولة إسلامية ولا أصبح القائمون عليها من المسلمين .

شكراً للدكتور عمارة . والسؤال للدكتور فؤاد :

س : أذكرت أن هناك قطاعات من الشعوب العربية تسعى ضد الديمقراطية ، ولنست الأنظمة فقط ، فهل طبق البعض الديمقراطية بمعناها الحقيقي ، حتى يسعى البعض ضدها ؟

ج : دكتور فؤاد زكريا : بطبيعة الحال لا نستطيع أن نتحدث عن الديمقراطية بمعناها الحقيقي في أي تجربة من التجارب السابقة أو اللاحقة في العالم العربي . فهناك نقص شديد في تطبيق هذه التجربة ، ولكن ، من طبيعة الديمقراطية ومن ماهية الديمقراطية أنها متطرفة ، وتبني على مبدأ المحاولة والخطأ ، يعني جرب وحتى لو فشلت في هذه التجربة فسوف تتعلم من فشلها وستكون التجربة القادمة أفضل قليلاً وهكذا ، وهذا هو جوهر الديمقراطية . إن الإنسان يجرب ، ثم يتعلم من فشله ، في هذه التجارب ، ولعلكم تعرفون بالمقاييس المتعارف عليها ، إذا كانت إنجلترا أقدم البلاد في الديمقراطية ، بالمقاييس الغربية ، فإنجلترا بلد ليس لديه دستور مكتوب ، وكل تجاربها الديمقراطية عبارة عن تراكم للخبرات وتحصل فيها نكسات .. و .. و .. إلخ .. حتى في النكسات يستطيع الإنسان أن يتعلم الكثير ، إذن لا نستطيع أن نقول إن هناك تجربة ديمقراطية ، ولكن نقول إن هناك محاولات ، وأي محاولة من هذا النوع ، حتى ولو كانت منقوصة ، يجب أن نشجعها ولا نقف في طريقها ، ولكنني اعتبر أن الحجر على آراء الآخرين ، ومواجهة الخصوم لا برحابة صدر ، أو بمحاولة التشكيك فيهم أو بتجريحهم أو بالشوشرة عليهم بالأصوات ، يعتبر حجراً على آراء الناس ، إذا تم الحجر على آراء الناس لا ديمقراطية على الاطلاق . لهذا السبب ، أقول نعم

للمديمقراطية ، والديمقراطية الموجودة في العالم العربي منقوصة إلى حد بعيد ، ولكن المفروض أن تك足 لإكمال هذا النقص ولو على مدى طويل ، وليس من أجل وأد التجارب وهي في مهدها ... [نصفيق] ...

الاستاذ سعد الرميحي : شكرًا .. والسؤال للدكتور عماره :

س : « لماذا التيار الإسلامي يعارض التعددية الحزبية ؟

ج : الدكتور محمد عماره : أولاً : التيار الإسلامي لا يعارض التعددية الحزبية . الشيخ حسن البنا ، عليه رحمة الله ، أدان الأحزاب ، ولكن ، أي أحزاب ؟

ليس فقط « الإخوان المسلمين » هم الذين أدانوا الأحزاب في المرحلة التي سبقت ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ م .. الحزب الوطني أدان تلك الأحزاب .. وكذلك مصر الفتاه .. واللجنة العليا للحزب الوطني .. والضباط الأحرار .. جميعهم أدانوا تلك الأحزاب .. كل حركات التغيير كانت تدين الأحزاب في مصر ..

ولكن ، عندما نغير الوضع .. « الإخوان المسلمين » لهم موقف شديد الوضوح ، يعترفون بالتجددية .. بل و يقولون - على لسان أكبر مستوليهما - يمكن أن تكون أحزاب عالمانية أو أحزاب شيوعية .. هذه أكبر جماعة إسلامية تمثل الاعتدال والوسطية الإسلامية ، فهي تتكلم عن التجددية بهذا الشكل<sup>(١)</sup> .. أما كون شرائح ترفض التجددية ، بل وتكرر الآخر العالمي ، فهذا صحيح .. بل ويكررون الآخر الإسلامي أيضاً !! .. هذا مرض من أمراض الغلو لم يخل منه عصر ..

(١) التجددية المقبولة هي التي تدور في فلك سيادة الشريعة وتقبل بمرجعية مصادرها المعمومة فتكون تعددية في الفروع لا في الأصول ، وقد أشار الدكتور عماره إلى هذا المعنى بوضوح في حديثه المعنون في هذه المناقضة [راجع ص : ٣٠] .

ولو أتيحت الفرصة لتيار الاعتدال الإسلامي ، لأصبح الغلو شريحة متخصصة ، مثل «الفرجة» على الآثار والأحجار الملكية في مجرى التاريخ من العصور السابقة ! .. وإنما الذي يجعل هذا الصوت عاليا ، وناقوسا مزعيجا ، هو غيبة تيار الاعتدال عن المساحات الشرعية والعلنية ..

لقد كنت أحاور أحد المسؤولين في إحدى بلادنا العربية .. وقلت له : لقد كانت مصر السبعينيات تجربة في مواجهة الفلو .. كانت الحكومة تلجأ للمرحوم الشيخ عمر التلمساني لخاورة تيار التكفير والهجرة .. فلم لا يحدث الآن دعوة تيار الإعتدال لمواجهة وحوار تيار العنف ؟ .. فقال لي المسؤول الكبير : وماذا عملوا عندما أتيحت لهم فرصة دخول مجلس الشعب ؟ لقد فعلت تجربتهم ! .. قلت له : إن هذا الكلام يشهد لي لا للث .. فلو أختتم لهم فرصة النجاح في العمل من خلال القنوات الشرعية - ومنها البرلمان - لأنتم قتلة القاتلين - من الغلاة - إن العمل من خلال هذه القنوات عبث لا يقيد شيئاً ! .. ولا يقود إلى تبادل حقيقي للسلطة ..

ومع ذلك ، فإن فكرة التعددية ، تكتسب المزيد من الأنصار في صفوف الحركة الإسلامية ، فكل أدبيات الحركات الإسلامية تحمل عن التعددية .. في الأردن يتعابثون مع غيرهم ، وهناك تعددية .. وفي غير الأردن من البلاد . وشكرا .

الاستاذ سعد الرميحي : شكرنا ، والسؤال للدكتور زكريا :

س : « وصفتم التيار الإسلامي بالإسلام السياسي ، وقلتم إننا كلنا مسلمون . فهل تومن بأن الإسلام هو الحاكم والفاصل في كل قضية ؟ أم تعتقد أن هناك نقصاً ينبغي إكماله ؟ »

ج : دكتور فؤاد زكريا : الجزء الأخير من السؤال يتضمن فكرة موجه هذا السؤال من معتقدي الإسلام السياسي ، فيعني فيه تاقض في السؤال نفسه ، لأنه ، بهذه الطريقة ، وبطريقة توجيه السؤال يبدأ بشيء وينتهي بشيء آخر .

القضية هي ما يأتي : نحن في مجتمعات إسلامية لا شك فيها ، وتفاقمت جزء كبير منها إسلامي ، هذه أيضاً حقيقة ، تربينا تربية إسلامية إلى حد كبير ، ربما ليس إلى حد كامل ، ولكن إلى حد معقول جداً . وبالرغم من هذا نحن نقول إن السياسة شيء والتدين شيء آخر . السياسة ... [مقاطعة] ... ملهمش ، تحملوني ثوبية .. السياسة فيها الدهاء والتلاعيب والمراؤغة والكذب ، والتدين يجب أن يكون مرتفعاً فوق كل ذلك ، يعني ، خبروني عندما تحدث معركة يكون أحد أطرافها مثلاً إيران ، وهي التي تحكم حكماً إسلامياً الآن ، ألا تجدون في كثير من الأحيان نصراً بياني تنتفي فيه مسئوليتها عن كذا وكذا ؟ ألا تجدون في كثير من الأحيان يكون هذا البيان كاذب ؟ هذا يحدث ، ودى مقتضيات السياسة ، فانا لا أعيّب عليها ذلك ، لأن دول العالم كلها تلجأ إلى ذلك ، والسياسة كلها فيها هذا اللعب ، وفيها هذا الكذب . وهل أصدرت هذا البيان باسم الإسلام لا ، أصدرته كحكومة عادلة ، تصرف في مثل هذا الموقف ، لا يصح أن تحمل مسؤولية شيء يجر عليها عواقب لا تستطيع أن تحمل مسؤولية شيء عادي ، فهي في مثل هذا الموقف لا نهاية لهذه المناورات والمؤامرات ..

إلا .. المفروض أن يكون الدين بعيداً عن هذا . هنا رأى البعض الذين أنا منهم . لكن إذا كان هذا الرأي لا يروق للآخرين لهم مطلق الحق في الدفاع عن وجهة نظرهم .

### الاستاذ سعد الرميحي : سؤال موجه إلى الاثنين :

س : ١) ألا يجد المفكرون الكبار بأنهما أرجعا كل مصائبنا للغرب ، وتجدهم يطوفون معه على نفس الخط في الخليج ؟ .

ج : دكتور محمد عمارة : قبل الإجابة على هذا السؤال الأخير ، أنا لي تعليق صغير على إجابة الدكتور فؤاد حول السياسة ..

السياسة ، في المفهوم الإسلامي من «الفروع» ، وليس من «أصول الدين» ، وبالتالي الخلاف فيها حتى بين الإسلاميين وارد ومعابرها «الخطأ» و«الصواب» وليس «الكفر» و«الإيمان» .. بل إن كل علماء السنة يؤكدون على أن الإمامة والخلافة ، وكل ما يتعلق بها ، ليس فيها انكfer ، لأنها من «الفروع» ، وليس من «أصول العقائد» ولا من أمهات الاعتقاد .

القضية الثانية : هي أن مفهوم الدكتور زكريا للسياسة هو المفهوم الغربي ، إنها الكذب والمكيافيلية والغاية تبرر الوسيلة .. هذا ليس مفهوم السياسة في الإسلام .. تعريف السياسة في الإسلام : « هي التدابير التي يكون الناس معها أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد » . وهذا تعريف ابن القيم - ... [تصنيف] ... فهي مضبوطة بالأخلاقيات الإسلامية ..

القضية الثالثة : هناك فارق بين «المسلم» و«الإسلامي» .. كلنا مسلمون ، أماحركات الإسلامية ، التي تحمل مهمة المشروع الإسلامي ، فهي التي ينطبق عليها -

وعلى كل حملة هذا المشروع - وصف «الإسلامي» .

في الماركسية يقولون : الطبقة العاملة هي صاحبة المصلحة في الاشتراكية .. ومع ذلك ، لم تترك الاشتراكية للطبقة العاملة .. وإنما قالوا : لا بد من أن يكون هناك حزب طليعي ، كتيبة طليعية ..

إذن ، كل الأمة مسلمة ، ولكن من يحمل هم وأمانة الجهاد في سبيل المشروع الإسلامي للنهضة ، هؤلاء هم «الإسلاميون» .

ولم تظهر أوصاف «الإسلامي» للنظم والجماعات ، إلا عندما ظهر البديل غير الإسلامي .. ففي عصر الاجتهداد في الإسلام ، وفي العصور الأولى لم يقولوا : مذهب الشافعى الإسلامي .. أو الحنفى الإسلامي ، لأنها جميعها كانت إسلامية ، ولكن عندما ظهرت مقالات غير إسلامية ألف «الأشعري» كتابه [مقالات إسلاميين] وكذلك كتاب «البلخى» كتابه [مقالات إسلاميين] .. فلم توصف الأحزاب والجماعات في تاريخنا الحديث - بأنها «إسلامية» ، إلا عندما كانت هناك أحزاب ونظريات «علمانية» .. للتعمير عنها .. ففارق بين «المسلم» و«الإسلامي» .

أما عن السؤال المطروح : فلا أنا ولا الدكتور فؤاد أرجعنا كل الأمور للغرب .. ولكنني ركزت على الفاعل الأصلي في كثير من مشاكلنا .. فأنا لا ألقى التبرع كلها على الغرب ، رغم ما فعله ويفعله الغرب بنا ، وشكرا .

دكتور فؤاد زكريا : الدكتور عمارة رد على ، ولم يرد على صاحب السؤال . رأى أن أجابتني من الخطورة بحيث تستحق التعقيب . وتعقيبا على هذا التعقيب : هل خلا التاريخ الإسلامي من مؤامرات القصور ؟ .. الممارسات السياسية هي هي .. وهذه هي طبيعة السياسة ، ولذلك فإن مسألة «السياسة مضبوطة بالأخلاق» هي تعبير عن أمنية .. فالواقع مختلف تماما . وشكرا .

الاستاذ سعد الرميحي :

شكرا للأستاذين الكبيرين .. وشكرا لكم .. والسلام عليكم  
ورحمة الله وبركاته



## الآفاق الدولية للإعلام

(١) مجتمع الغردوس بجوار نادي السكة الحديد

تليفون وفاكس : ( ٢٨٥٩٠٣٨ ) القاهرة